أيار (مايو)
١٩٦٠
العدد الثاني عشر – السنة الثانية

الثقافة

مجلة فكرية جامعة

تصدر في دمشق

أيار (مايو)
١٩٦٠
العدد الثاني عشر
السنة الثانية

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الجهاز المجهول!

بقلم الدكتور : صبحي أبو غنيمة

(في السادس عشر من الشهر الماضي أذيعت من القاهرة ودمشق ندوة علمية حول كتاب (نظرة في أعماق الانسان) تكلم فيها الاستاذ حسني سبح استاذ الطب في جامعة دمشق والاستاذ عزة مريدن عميد كلية الطب والمؤلف الاستاذ صبحي أبو غنيمة فقال الدكتور سبح عن الكتاب بانه(ثورة ٠٠ في دنيا الطب) وقال الاستاذ مريدن بانه (حل مشاكل ٠٠ كانت عسيرة الحل) وبحث المؤلف في سياق الحديث عن (الجهاز المجهول) وهو موضوع الجزء الثاني من كتابه ، وقد رجوناه ان يكتب لنا كلمة عنه فأتحفنا بهذا المقال ٠٠٠) « الثقافة »

يسخرون ٠٠ من الطب والاطباء :

أبل (أنورين بيفان) الزعيم المعروف من مرضه الخطير فكان أول تصريح له هو هذا : الطب ليس علما ، وانما هو فن !

٠٠ كلمة (فن) هذه تحوي معاني كثيرة ، وقد فسرها لي أستاذ مرموق من أصدقائي :

الأستاذ ، مصاب بقرحة ، فأشار عليه طبيب بالاكثار من الحليب والاقلال من اللحم وأشار اخر ، بالاقلال من الحليب والاكثار من اللحم فحار في ذلك وجاء يسألني : « أيهما الفهمان ؟ » فأجبته (الاثنان) ! فقال متعجبا « وأيهما الاصح » فقلت « الاثنان » ففغرفاه ،فقلت له ما قاله (جلاتزل) : (نحن نتبع في هذا مدرستين ، مدرسة لوبيه وبرجمان وتشير بالرأي الاول ومدرسة ثبينجر ولنهارتز وتقول بالرأي الثاني والمدرستان ناجحتان اذا استطاع الطبيب المداوي أن يجعل مريضه يؤمن بأي منهما !) ونظر الي كمن لم يفهم ما أقول ، فقلت : غرسون ، داوي السل برفع الملح من الطعام فنجح في بعض الحالات و (لاتور) و (آمده) داوياه بالاكثار من الملح في الطعام فنجحا في بعض الحالات ، فهل تريد بعد هذا أن أزيدك أمثلة؟فضحك وقال لي:آمنت٠٠وآمنت بأن طبكم فن كفن الرقص تماما ! تارة رومبا وتارة روك آندرول !

ان (بيفان) و (الاستاذ) تسترا بشيء من الحياء أما (شو) الساخر فقد كان قاسيا جدا (هذا الطب ، علم ناقص ، هو فن ، لا بل انه مجموعة من الخرافات ، أما الاطباء فهم ليسوا مخلصين ، اذ يعلمون أن معارفهم قاصرة وجراحاتهم خطيرة وعلاجاتهم عقيمة ولكنهم كأنهم مترابطون في مؤامرة فكل منهم يستر أخطاء الآخرين ويتسلح باسم العلم والفن ، حيث لا علم ولا فن ٠٠)

ولما جوبه بنجاح الطب في انقاص عدد الوفيات أجاب (الفضل في ذلك ليس للأطباء بل للمهندسين ، الذين أسقونا المياه النقية بالأنابيب وأزالوا أقذارنا٠٠بالأنابيب!)

٠٠ ويقول الاطباء :

هذا القول لا يثير الاطباء ، فالطب هو المهنة الوحيدة التي يرى الكثيرون أن ليس لهم حق الكلام فيها فحسب بل والحكم على أربابها أيضا ومن واجب الطبيب مع

ذلك أن يصغي لكل مايقال عنه ولكنه كالدليل الذي يمشي أمام القافلة في الأدغال ، مسؤول عـن القافلة في الرحلة حتى تصل الى ٠٠ النهاية ، وقد يلتفت من حين لآخر ، الى الوراء فيدلي بآراء قد يراها بعض من معه بأنهـا ليست من شأنه ، وتأتي الايام فتؤيـده فيما ارتآه : (المجنون) الذي كان يكبل بالاغلال ويضرب الضرب المبرح وهو في هذا الحال كان الطبيب هو الذي وضعه على السرير وجعل المجتمع يقف في خدمته يحنو عليه بعطف واشفاق وكذلك الشكوى من الجيل المائع المخنث كان الطبيب هو الذي وضع لها دستورا لاصلاحه منذ طفولته فاصبح الدستور شعارا وهو : (ليست الجامعات هي التي تصنع الرجال وانما هي عشش الاطفال) ٠

وهذا (المجرم) الذي أوصله المجتمع وفساد البيئة والظروف الى سلم المشنقة كان الطبيب هو الذي رفع الحبل عن عنقه فبرهن بذلك على روعة الآية : (ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) وأنقذ المجتمع من جريمة فالطبيب هو كالمرشد فاذا ضل الطريق فليس الا لمرشد آخر ان يدله على الصواب وقد تكون الجماهير في تلك اللحظات ، قد غمرته بالهتافات فيجب أن لا يغتربها فالهتافات تطرب مرضى العظمة ومهرجي السياسة أما العلماء فلا ٠٠ ان تاريخنا الطبي ملىء بأطراف الحوادث من هذا النوع :

مفاجئات مذهلة :

من من الناس لم يعجب بهذا النجاح الـذي أحرزه الجراح ٠٠ انه على وشك أن يصنع (قطع غيار) للجسم كما يصنـع الحـداد للسيارة وان قهقهـات السخريـة مـن فشل الطب يكاد يخرسها هتاف الجماهير لحامل المبضع ، ولكن واحدا من أشهر حاملي المبضع وهو (هنتر) كان هو صاحب الصوت المدوي بقوله (ان تقدم فن الجراحة خطوة الى الامام معناه تقهقر علم الطب خطوة الى الوراء ونحن الجراحون أشبه الناس بقطاعي الطرق ، اذ لماذا نبقر بطن هذا المسكين لنزيل له (الزائدة) وكان بامكاننا أن نشفيها له ولماذا نضع له عين ميت وكان بامكاننا الابقاء على العين حية ولماذا نبتر الساق النخرة ، لنضع له ساقا أخرى وفي وسعنا ابعاد النخر عنها) ٠٠ ان هذا قد يثير صخـب العامة ولكن هذا الصخب لا يستطيع أن يمنع الحقيقـة من النطق ، والحقيقة التي تتسلح بالايمان جريئة الى حد أنها لا تخشى صخب الاطباء أنفسهم والامثلة التـي سأوردها لك فيما بعد كلها من هذا القبيل :

مائة الف دواء :

في جعبة الطبيب ،وهو مرشد القافلة مائة ألف عقار للعلاج ان طبيبا هو (بير) يصيح في المرشد (لا يوجد في كل هـذه المايـة الف دواء ، دواء واحـد يعـد شافيا بالمعنى الصحيح) وطبيب آخر هو (بينغ) يؤيد زميله فيضع لذلك دستورا لا يقبل الجدل : (اذا رأيت في كتب الطب أدوية كثيرة لمرض واحد فاعلم أن ليس بين تلك الادوية الدواء الواحد الذي يعد شافيا بالمعنى الصحيح) وتعجز اذا فتشت في كتب الطب أن تجـد مرضا واحدا له دواء واحد ! ٠

ان الطبيب الذي يحمل مسؤولية ارشاد المجتمع في طريق الحياة والذي لا يعبأ بسخرية الساخرين يشعر بثقل الواجب فيصغي الى نقد أخيه الطبيب ، وكـان من ذلـك الخير العميم في سبيل الفرد وفي سبيل المجمـوع كما سترى فيما يلي :

الشفاء الذاتي ؟ الاعجوبة في الطب ؟ التنويم ؟

ان ما نجهله هو أكثر بكثير من الذي نعرفه فالامراض التي تشفى بدون علاج هي كثيرة جدا جدا ــ وألفت النظر الى تعبير « جدا جدا » لشتاركنشتاين ــ وهذا هو الشفاء الذاتي ، فكيف يحدث ؟ نحن لا ندري !

والاستاذ (ليه ك) يطوف في أنحاء العالم باحثا عـن (الاعجوبة في الطب) ويرجع ليكتب كتابه ويقرر بأن بعض هؤلاء الدجالين قد استطاع أن ينجح فيما عجز عنه أكبر عباقرة الطب ! فأين التفسير ؟!

هـذا المنوم الـذي يجعلك تعمى وانت بصـير ، ولا تسمع وأنت سميع ، ويشل يدك ورجلك وكل ما فيهـا

سليم ، هذا المنوم بالذات قد سخر من كل قواعدنا الطبية فما هي الوسائل التي سيطر بها ؟ كل هذا نجهله ونجهل الكثير غيره أيضا ونحن لا نريد أن نبحث فيما نجهلـه ولكن ألا يدعونا هذا الى اعادة النظر فيما نعرفه ؟!

ما هي الصحة وما هو المرض ؟

الـذي حاول الاستفسار عن ذلـك هو فايتز سكر ـ استاذ الطب في جامعة هايدلبرج اليوم ـ فرجع الى كل ما كتب عن ذلك وخرج منها يقول : كل ما عثرت عليه مـن تعاريف لا يفي بالمراد وتسأل عن الدليل فاليك هو من حوادث كل يوم :

هذا شاب يصاب بنوبة فيستدعى اليه (الأخصائيون!) اللذين قرروا بعد الفحص الدقيق بـأن لا خطـر هناك وبينماهم يهبطون درج الدار اذا بالبكاءوالنحيب يستدعيهم فيرجعون •• ليقرروا •• وفاة الشاب ! ••

وهذه نكتة يرسلها أحد أطباء شركة التأمين :

(ان قوانين الطب ستحتج على هـذا المخلوق الـذي فحصته الآن فلم أجد فيه عضواً واحداً سليما وقد كان عليه أن يمتثل لأوامر قوانين الطب فيموت ، ولكنه رفض ولم يفعل ولما سألته عما اذاكان زار طبيبا قبل الآن أجابني بكل استغراب : ولمـاذا ؟ أنـا والحمد لله بألف خير !! فأين المرض والموت من هذا (المريض) الذي يعيشـ وأين الصحة من ذلـك الشاب الـذي (لا خطر) عليه ومات ؟! •

و •• اسباب المرض ؟

للأمراض سبب داخلي ، هو الوراثة فما هي الوراثة؟ الحوين المنوى الذي يصغر رأس الابرة بمئات المرات،فيه الشكل المصغر للأب بكل أعضائه واجزائه وقسماته ولا نسأل الآن كيف تنمو وتكبر فهي على كل حال في هـذا المجال المادي ولكن ••هناك مرض يسمى (بورفوريتثوري) أي بوال الدم الوراثي وقد عرف عنه الآن انه يحصل من فساد بعض الخمائر في الكريات الحمراء••هذه الكريات تصنع في بعض أعضاء الجسم وبعد زمن معين،فكيف تفسد الخمـائر وهـي لا تـزال في عالـم الغيب في ذلــك المجال الذي هو أصغر من رأس الابرة بمئات المرات ؟!

وهذا مثل آخر : رجل ينتحر في الخامسة والثلاثين بموسى حلاقة وينتحر ابنان له بنفس الطريقة وفي نفس السن وتنتحر ابنته في سن (٣٤) وابنها في (٣١) فاذا انتقلت في المثال الاول (المادة) مهما كان حجمها ، ارثيا فكيف انتقل في المثال الثاني (السلوك والاخلاق) وهو شيء نفسي محض ، ألا يدل هذا على أننا لا نزال عـلى الشاطىء من بحر الوراثة الملىء بالأسرار والذي ليـس له حدود ؟ أو ليس من المنطق بعد ذلك أن نفكر طويلا في تلك الأسباب •• الداخلية ؟

وللأمراض أسباب خارجية نضعها في سلسلة طويلة من الأسماء والتفسيرات والتعاليل ولكن الظريف في هذا أن كتب الطب بدأت تبحث منذ أمد غير بعيد عن أمراض جديدة أطلق عليها اسم (الأمراض الوظيفية) وقيل عنها بأنه لا يمكن تفسيرها بتلك الاسباب ويسأل عـن عددها فـاذا بها (٥٠) بالمايـة ويصل بهـا هاليداي وغيره الى سبعين وثمانين بالماية ويـكتفي مـن التعاليل بالقول أنها نفسيه وتشفى بالاقناع وهناك تلك الأمراض التي توصف بالأمراض العقلية ولا نجد لها أي أثر في الدماغ ويقال لنا عنها أنها نفسية أيضا ولكنها لا تشفى كتلك بالاقنـاع فما هو الفرق بـين هـذه (النفسية) • وتلك ؟ اننا لا نسمع أي جواب لهذا ولذا فلا عجب أن ينفجر العلماء•

انفجار القنبلة :

هذا (بلويلر) الطبيب السويسري الشهير ينفث عن صدره بكتاب عنوانه (الاضطراب والتشوش في تفكيرنا الطبي) وهذا زيجريست مـن أشهر مؤرخي الطب في هذا العصر يرى (ان الكتب التي في أيدينا ليست أكثر من قبور دفن فيها الماضي) وأخيرا لا آخرا هذا(كراوس) وهو امام من أئمة الطب في هـذا القرن يعلن بـلا تردد (افلاس طبنا المعاصر) !

•• ويبدأ البحث مرة أخرى عن أسباب هذا••الافلاس!

الاسس البالية :

نحن نعالج أمراضنا على أساس الاجهزة فهناك أمراض جهاز (الهضم فالتنفس فالدم والخ ٠٠) وعلاجها على هذا الاساس فهناك أدوية جهاز (الهضم فالتنفس فالدم والخ) ونحن نفعل هذا في الوقت الذي نجمع فيه على القول بأن (الجسم كل لا يتجزأ) وتكتشف بالصدفة في عام ١٨٧٣ كتب (هرمس) الستة وفيها كتابه (العنبر المقدس) فنجد اننا نمشي على نفس الطريقة التي كان يمشي عليها هرمس قبل آلاف السنين في التشخيص ولا نزال نداوي كما كان يداوي بالضبط (بالكمادات والملينات والمقبضات والمعرقات والمشهيات ومقويات الباه) وغيرها ٠

وهذا ما دعى برجمان وهو استاذ جيل من المكتشفين الى أن يدعو ٠٠ لتفكير جديد

التفكير الجديد :

كل العلوم تطورت اليوم ، حتى ذلك العلم (التام الكامل) الذي هو علم الرياضيات أصبح بعد بلانك وأنيشتاين ، لا تاما ولا كاملا ، والفيزياء التي تربعت على عرش العلوم الطبيعية سنين طوال تنازلت عن عرشها لتضع التاج على مفرق (الفيزياء الحديثة) أما الكيمياء فبعد مفهوم الطاقة الجديد قد قلبت أوضاع العالم رأسا على عقب ٠٠ ان كل تفكير جديد يجب أن يأخذ هذه التطورات كقاعدة للتفكير : (كلميره ــ) يقول:الحقائق الكبيرة ، قريبة منا أكثر مما نظن ولكنا لا نبصرها لأننا اعتدنا على البحث عنها بعيدا ٠٠ وانا اذ نفتش في بحثنا هذا عن الحقائق الكبرى لا نجد ما هو أقرب الينا من الحياة نفسها ، فما هي الحياة ؟! الجواب يعطيه (أدلر) بأيجاز : الحياة هي الحركة ! وبالفعل فأن كل ما في جسمنا يتحرك والذي نشعر بحركته حياً هو القلب فهذا المسكين لا يقف لحظة واحدة منذ الولادة حتى الوفاة وقد تمتد حركته الى ٧٠ ــ ٨٠ ــ ١٠٠ عام أو أكثر ٠٠ ان بلايين الخلايا في الجسم لا تختلف في ذلك عن القلب فهي تعمل دوما وابدا وبلا توقف ٠٠ وهكذا فان كل ما في الجسم من أجهزة وأعضاء وخلايا يتحرك فاذا كان هناك جهاز يسيطر على جميع أجهزة الجسم وجميع خلاياه ويوحد عملها ــ وهو ما يتنبأ به ويس وبرجمان ــ فيجب أن يكون هذا الجهاز هو جهاز ٠٠ الحركة !

أشكال الحركة :

عندما نمعن النظر في حركات الجسم نجد فيها قبل كل شيء حركات داخلية تسعى لتأمين ما يلزم للحركة من طاقة فالطاقة ليست موجودة في أرضنا وانما هي في الشمس فتحفظها لنا النباتات بواسطة الكلوروفيل ونحن نأخذ هذه الطاقة منها ومن لحوم الحيوانات التي تتغذى بها فاللحم والدهن والسكر الذي نتناوله من النبات والحيوان هو أشبه بحبة الجوز التي نكسرها لنأخذ لبها أو الطاقة التي فيها وطبيعي أن نعتبر هذا العمل لصالحنا وبمتابعة النظر نجد أن كل الحركات تهدف الى صالحنا وبقائنا كذلك في حركاتنا الخارجية لا نقوم بحركة مهما كانت الا ونهدف فيها الى الدفاع عن أنفسنا وهذه الحركة تصبح عند الرغبة والميل أكثر سرعة واذ تتطور الى (عادة) تزداد سرعة حتى اذا أصبحت غريزة فأنها تحدث وكأنها رغم ارادتنا وهذا يفسر قول الشاعر :

وما زرتكم عمداً ولكن ذا الهوى
الى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل

وحركاتنا الداخلية كذلك لا تختلف في الهدف عن رفيقتها الخارجية ، كل داخل غريب على الجسم مهما كان نوعه حتى المواد التي نقتات بها ونأخذ من ذراتها (الطاقة) تقابل كخصم تجعله صديقا فيما بعد وكونها تبدو غريزية يدلنا على أنها مرت بمراحل من (رغبة وميول وعادة) حتى وصلت الى (غريزة) ، والذي قام بهذه المراحل هم الآباء والأجداد الذين نرث منهم كل ذلك عن طريق الدماغ القديم الذي نجد فيه سجلات جاهزة لكل هذا ٠

انظر الى ما يدخل الى الجسم من جراثيم وسموم واجسام غريبة ان الحركات الداخلية تضرب حوله نطاقا فتحصره في سور منيع أو تلتهمه أو تحل أجزائه وكذلك السموم فأنها تحيلها الى أجسام أخرى لا خطر فيها ٠

وكذلك من أشكال الحركات الداخلية، تلك التي تنقل الدم الى جميع النواحي أو توزع الماء حسب حاجة الأعضاء ، كذلك الحركات التي تحطم الذرات لتخلق منها اجزاء تضعها مكان الخلايا المهترئة أو تلك التي ترى حاجة الجسم الى السكر مثلا فتحيل ما هو مخزون في الكبد من جليكوجه ن الى غلوكوز فان نفد مخزون الكبد من (برونه‌ثين) الجليكوجه ن استعانت بماهنالك من دهون لجعلها سكرا فان نفدت هذه استعانت بما هناك من لحم مثل هذا .. الحركات التموينية فان حاجة الجسم الى الحديد يوميا هي ١٤ ميليغرام فان قل المورد تقوم بأعمال تموين حكيمة فتكفي نفسها بما هو موجود . كل هذا يفسر لك كيف يحصل الشفاء الذاتي وما يسمى التنسيق أو التنظيم الديناميكي الذي يجري في الجسم فنحار في أمره وكل هذا يؤيد ما قاله (كرهل) قبل سبعين عاما بأن الجسم يفعل كل ما تريده النفس وما يلزمها وأن الحركات كلها منسجمة في الداخل والخارج معا كجهاز واحد.

الجهاز المجهول :

بهذه الملاحظات المختزلة عن جهاز الحركة هذا ، يبدو بديهياً انه يجب أن يكون مركباً من جزئين ، جزء يقبل الاثارة ، وجزء يسعى بعد (تصنيعها) الى ايصالها للهدف الذي هو البقاء.. هذا الجهاز ليس جهاز الرفلكس كما ذهب الى ذلك بعض الزملاء فالدماغ والجملة العصبية هي بعض أجزاءه اذ أن عملية قبول الاثارة يقوم بها الدماغ وبعض اجزاء الجسم ، مثل هذا ايصال الاثارة فالذي يقوم به هو الجملة العصبية وبعض أجزاء أخرى من الجسم ولقد دلت عمليات التنويم ـ وعرف عنها أنها السيطرة على العصب المنبت ـ بأن الوسيلة في هذه السيطرة هو (قبول) الشخص القيام بعمل يؤمن هو بأنه في صالحه ..

ملخص البحث :

اننا نخرج مما قلناه بهذه النتائج الهامة :

١ ـ ان العصب المنبت الذي يطلق عليه اسم (عصب الحياة) والذي يدير كل أمورنا الحياتية ليس مستقلا ولا تلقائيا كما هو شائع ، بل هو تابع لارادتنا وفي الامكان السيطرة عليه .

٢ ـ ان المرض ـ كل مرض! ـ هو في خروج هذا العصب على ارادتنا وان الشفاء ـ كل شفاء ! ـ هو في ارجاعه للسير على الطريق الذي رسمته له خبراتنا في الدماغ القديم والجديد تارة بالكيمياء وتارة بالاقناع .

٣ ـ ان الأمراض ـ جميع الأمراض ـ وبدون اللجوء الى كلمة نفسي وعضوي وغيرها يمكن حصرها في الجزء الذي يقبل الاثارة من هذا الجهاز وفي الجزء الذي يوصل الاثارة الى الهدف .

وهناك أمراض لم تكن معروفة ولم يعرف تفسيرها هي أمراض الهدف وتطوراته ومن نماذجها الحادث الذي رواه (يونغ) وهو قصة ميليونير أمريكي حار أطباؤه في تفسير مرضه اذ أن جميع الفحوص برهنت على خلو جميع الأعضاء من أي مرض لجأوا الى القول بأنه (نفسي) ولكن الوسائل النفسية فشلت في انقاذه فأستدعي الاستاذ يونغ الذي قرر بعد وصوله بأن الوقت .. فات وقد مات الرجل ، لفقدانه الهدف في الحياة .

وحادث آخر لمريض عالجه الاستاذ كوخ ، يشكو مما يسمى (الحصار القلبي) أي أن قلبه كان ينبض ١٢ مرة في الدقيقة بدلا من ٧٠ أو ٨٠ مرة ويشكو من الأعراض التي تصاحب عادة هذا المريض وهي أليمة وقد فشلت كل الوسائل الطبية المعروفة في شفائه وشيء واحد أفاد هو ارجاع الأمل بالحياة اليه فصح بذلك قول الشاعر :

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل !

هذا استعراض موجز (للجهاز المجهول) دعانا اليه حديث السخرية والساخرين ولا حيلة لنا فيما تراه فيه من نقص لضيق المجال .

ان الطبيب لا يسخر ولا يهتم بالساخرين وشعاره دوماً :

وقل رب زدني علما !

أبو غنيمة

مصادر القصة العربية الحديثة [1]

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي



الـكلام عن مصادر القصة العربية الحديثة يجب أن يبدأ بالاجابـة عـن سـؤال : منذ متى أصبحت لنا قصة حديثة ؟ إن الادب العربي مثل كل أدب انساني لكل امم الارض الذكية لم يخل من القصة منذ فجر نشوئه •قص علينا القرآن أحسن القصص ، وتناقلت القبائل أخبـار ايامها في الجاهلية القريبة واساطيرها في جاهليتها البائدة• وروى كتاب لسـيرة والمغازي ومؤرخو الادب حـكايات التاريخ ونوادر الملح بادئين بالاحاديث المسندة في سيرة الرسول واسباب النزول ومنتهين بالحكايات المتخيلة في مقامات الحريري والهمداني مرورا في طريقهم ببدائـع أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في مصنفاته الكثيرة • كان جديرا بالقصة العربيـة في تلك الازمان البعيدة أن تبلغ من ناحية الـكمال الفني الشأن الـذي بلغته القصة الغربية اليوم ، لو استمرت قصتنا العربية تلك في تطورها التقدمي • ولكن سوء حال النظم السياسية في المواطـن العربية ضعضع حضارة العرب وأفسد أدبهم الذي كـان احدى السمات البارزة لتلك الحضارة • وهـكذا سقطت القصة العربية من الرفعة التي وصلت اليها كاداة سـحر انساني في اطار فني رائع كما هي في رسالة الغفران أو من وسيلة لعرض الافكار الفلسفية كما في قصة حي بن يقظان ، سقطت الى مجموعة من القصص الغثة الخيال ، كما في كثير من قصص الف ليلة وليلة أو مـن قصص البطولات الشعبية الخالية من الجمال الفني كما في سيف بن ذي يزن أو حمزة البهلوان • هذه القصص البدائية في تـكوينها الفني ظلت وحـدها بضاعة الادب لقصصي العربي طوال عصور الانحطاط ، فلما بدأ العرب نهضتهم الحديثة في القرن التاسع عشر بدأت القصة تطل في أدبهم ولكن بشكل جديد منقطع الصلة بتلك القصص الشعبية القديمة ، شكل مستقى من القصة الغربية كما كانت عليه في القرن التاسع عشر وكما تطورت بعده •

لم حدث الانقطاع بين قصتنا العربية الحديثة وآخر ما وصلت اليه القصة العربيـة القديمـة مـن أطوار ؟ إن قصص عصور الانحطاط التي ذكرتها تلك كانت ، على هلهلتها وضعفها الفني، تحمل من الخصب ومن الخصائص الذاتية ما يجعلها جديرة بأن تـكون نواة أو منطلقا الى أدب قصصي عربي جديد مثلما كانت حكايات القـرون الوسطى ومؤلفات عصر النهضة منطلق القصة والرواية الجديدة في الادب الغربي الحديث • فاغانـي الملاحـم الفرنسيـة القديمـة مثل أغنيـة رولاند لا تفوق بشيء حكايات تغريبة بني هلال ، وقصص بوكاشيو الايطالي لها مـا يماثلها أو يفوقها في الروح والاداء في مواضـع كثيرة من الف ليلة وليلة • كـان ممكنا اذن أن تتطور

---

(١) نص المحاضرة التي القاها الدكتور عبد السلام العجيلي بدعوة من المركز الثقافي العربي في القامشلي بتاريخ ١٦/٤/١٩٦٠ •

هذه القصص البدائية فتنتهي الى الوان متكاملة من الرواية أو القصة العربية تقارب أو تساوي أو تفوق الوان القصص الرفيع الذي نعرفه في الادب العالمي اليوم • كان ذلك ممكنا ولكنه لم يحدث • لقد قامت دون حدوثه العوامل نفسها التي سلكت نهضة العرب الحديثة في مسلك الحضارة الغربية المتكاملة مجانبة اياها مسلك حضارة العرب القديمة الذي كان قد بلغ حضيضه في عصور الانحطاط المتتابعة • فالعرب في نهضتهم الجديدة لم يصلوا الى معارفهم العلمية العصرية مطورين المعارف التي بلغها ابن النفيس وجابر بن حيان وابن الهيثم في الطب والرياضيات والبصريات ، بل ارتضوا لانفسهم أن يطووا العصور ويتجاوزوا تطورات الفكر وثوراته الى أن يصلوا الى ثماره الاخيرة الدانية متبنين الغايات التي بلغها باستور وكلود برنار وماركوني واينشتاين في مختلف انحاء المعرفة العلمية • ومثلما فعل العرب الحديثون في تلقيهم هذه الثقافة العلمية من مصادرها الغربية فعلوا في الفن والادب ولا سيما في تلقيهم القصة • لقد طووا تجربة العصور التي مرت بها القصة في الآداب الغربية وتناولوها من مصادرها الحاضرة في قمة تطورها وفي أكمل أدوارها •

اذن فلا جدال في أن نسبة القصة العربية الحديثة هي نسبة غربية في تكوينها واسلوبها وان كانت تبدو ، وأقول هنا تبدو لان لي عودة الى هذه الناحية ، وان كانت تبدو في أجوائها وأحداثها وأشخاصها عربية الوجه واليد واللسان • نعم لقد قامت محاولات في انشاء قصة عربية حديثة يتصل تكوينها بفن عربي أصيل وقديم هو فن المقامة ، كما فعل الشدياق في بعض فصول كتابه الساق على الساق أو المويلحي في حديث عيسى بن هشام ، ولكن تلك المحاولات لم تفلح ولم تعمر وظلت القصة الناسجة على المنوال الغربي هي القصة السائدة المتمكنة في أدبنا الحديث • الا أن قصتنا الحديثة لم تصل الى شكلها الذي نراه بين ايدينا اليوم الا بعد أن مرت بادوار تلمذة بدائية على فن القصص الغربي كان لا بد منها حتى يتمكن كتاب القصة العربية من فنهم أو من مناهجهم في هذا الفن • كان هناك دور التعريب الذي ينقل فيه الكاتب قصة غربية باحداثها واشخاصها الى بيئة عربية بتسمية الامكنة والاشخاص تسمية عربية ، مثلما فعل محمد عثمان جلال الذي نقل بول وفرجيني لبرناردين دي سان بيير الى رواية عربية سماها « الاماني والسنة في حديث قبول وورد جنة » • ودور الحكايات الوعظية التعليمية الحائرة بين الف ليلة وليلة وبين الروايات الاجتماعية الغربية كما كتبها سليمان لبستاني وفرنسيس مراش • ودور الترجمة المحورة الذي يمثله مصطفى لطفي المنفلوطي في نقله الى العربية نقلا مفرط التصرف لبول وفرجيني ولسيرانو دي برجراك وماجدولين • هذه الادوار اندثرت كلها حين انتهت الى قصة عربية حديثة تقف من حيث الاسلوب والغرض على الصعيد الذي تقف عليه القصة عامة في الآداب العالمية اليوم •

القصة الحديثة ، عربية كانت أو غير عربية ، هي رواية الكاتب او مجموعة حوادث رواية تلذ للقارىء وتثير اهتمامه وتجعله يشارك الكاتب في ادراك المعنى النفسي او العقلي الذي فهمه الكاتب او أراده على أن يفهمه مما يرويه له • قد يروي الكاتب حادثته أو حوادثه متحركا بها في قطاع كبير من الحياة والزمن وفي حجم كبير من الورق فتكون تلك الرواية • وقد يقصر جهده على زمن قليل وزاوية صغيرة من الحياة ، فتكون تلك الاقصوصة ، وهي ما ينصرف اليها الذهن كلما ذكرت القصة في هذه الايام • لكاتب القصة ان يسلك حادثته في الماضي القريب او البعيد ، او في المستقبل المرتقبة او أن يختار لها تاريخ كل يوم مستقلا في توقيتها عن الزمن المحدد باوراق الروزنامة • يستطيع ان يبدع قصته منساقا بمزاجه الفني وحده او أن يكتبها ملتزما بها مذهبا فكريا أو اجتماعيا معينا • كل تلك أمور للقاص أن يختار لنفسه منها ما يحلو دون أن يكون في مجافاته بعضها ما يخرج ما يكتبه عن أن يكون قصة • ولكنه ، في رأيي ، يخرج عن ذلك أو يفشل في عمله اذا لم يستطع أن يخلق

بينه وبين القارىء تلك الصلة النفسية التي يتأثر بهـا القارىء فيشارك الكاتب احساساته وادراكاته من رؤية الحادثة التي يرويها او من تمثله تلك الحادثة • من هنا نتبين أن الحادثة ليست وحدها العنصر الرئيسي في القصة الحديثة ، فهناك الى جانب الحادثة عنصر الرواية ، رواية الحادثة اعني • بل ان رواية الحادثةأهم في الفن القصصي الحديث من الحادثة ذاتها • فطريقة هـذه الرواية ، تسلسلها الزمني ، لغتها وتعابيرها ، هي التي تعطي القصة شخصيتها وايحاءها وتخلق تلك الصلة النفسية بين كاتبها وقارئها • وكل بحث اعني عن مصادر القصة الحديثـة لا بد أن يهتم بمصادر هذين العنصرين الاساسيين مـن عناصرها ، أعني بمصادر حادثة القصة وبمصادر روايـة القصة • وهذان الطرازان من المصادر متباينان تباينا واضحا في نسبتهما الى الكاتب • فبينما نجد مصادر الحادثة خارجية عنه في اغلبها ، يدخل فيها الزمان والمكان والمجتمـع والافراد ، نجد ان مصادر رواية الحادثة ذاتية شخصية تريد الى قدرة الكاتب الفنية • والى مكتسباته الثقافية والى عمق احساسه بالحياة التي يحياها في زمانه وبيئته وبـين مواطنيه وابناء جنسه • وتبعا لما رأيناه من كون عنصـر رواية الحادثة أقوى من الحادثة ذاتها في القصة تصبح المصادر الذاتية لهذه القصةاهم بكثير من المصادر الخارجية وهذا هو الواقع في ادبنا الحديث : ان المصادر الذاتيـة للقصة فيه هي التي تعطيها قيمتها كأثر فني وهي التي ، يغناها أو فقرها وبعطائها او جدبها تحدد وضع قصتنا بين الآثار الفنية العالمية المعاصرة •

كل قصة مكتوبة تتحدث بصيغة الماضي ، أعني انهـا تتكلم عن حادث مضى ، أعني ، باستثناء قصص المستقبل مما كتبه ويلز وهكسلي واضرابهما ، ان الماضي هو مصدر الحادثة فيها • قد يكون ذلك بعيدا مما اصطلحنا على ان نحيه بالتاريخ ، وقد يكون ماضيا في القريب بدرجة نستطيع ان نسميه معها حاضرا • وفي كل آداب العالم كانت القصة في مراحلها الاولى حديثا عن وقائع التاريخ ، لذلك لابد لقصصنا الحديث من المرور بالمرحلة التاريخية في طور من اطوار تكامله • وهكذا كان لنا قصاصـون اقتبسوا انتاجهم من مصادر التاريـخ ، ولا يزال تراث هؤلاء القصاصين مقروءا واسماءهم ذائعة واشهرهم جرجـي زيدان فيما كتبه من سلسلة روايات تاريخ الاسـلام • كان جرجي زيدان في الواقع عالما مؤرخا سخر الادب لغايته العلمية وقال عن ذلك في مقدمة رواياته انه « اختار نشر التاريخ باسلوب الرواية لانه افضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعة التاريخ والاستزادة منه » • لذا كان نصيب الادب في انتاجه القصصي اضعف من نصيب العلم • الا انه كان على كل حال رائدا لكتاب القصة التاريخيـة الذين تتالوا بعده مولين الناحية الفنية اهتماما أخذ بالتزايد يوما بعد يوم ، سواء باتخاذهم اجواء التاريخ مجـالا لشطحاتهم الشعرية كما فعل معروف الارناؤوط اووسيلة لدراسة النماذج الحضارية والانسانية كمافي قصص محمد فريد أبو حديد •

والتاريخ مصدر خصب للحادثة في القصة • الا انه ، بكونه يخص ناسا ماضين ومجتمعات ماضية ، لا يترك للكاتب الحديث المغرم بالتحدث عن ذاته ولا للقارىء الحديث الباحث عن ذاته في كل موضع وموضوع ، مجال واسعا الانطلاق والتملي • ولعل هذا اهم الاسباب التي حدت بالقصة الحديثة الى الابتعاد شيئا فشيئا عن احداث الماضي وعن القصص التاريخي الى رواية احداث معاصرة قد تكون وقائعها افقر ولكن الكاتب يكون فيها أقرب الى الصدق في التعبير عن احساساته أو في وصف حال ابطاله وانصراف كتاب القصة الحديثة الى الاحداث المعاصرة التي يعيشون هم في جوها يعني انصرافهم الى الكتابة عن بيئتهم وفي انفسهم من صراع وتطور • مصادر هـذه القصص ليست في الواقع الحوادث بل المشاعر ، وجمالها لا في غرابة مصادقاتها بل في قدرة الكاتب في روايتها • بجملة واحدة اصبح المصدر الرئيسي للقصة هو ذات الكاتب ، وهذا مايجعل مهمة هذا الكاتب اعسر في ادراك الكمال • اذ أن عليه بمقدرته الفنية وحدها أن يستولي على مشاعر قارئه فيوحي اليه بافكاره ويعديه باحساساته

حتى يهتز وجدانه بالمؤثرات التي هزت وجدانه هو •

قلت ان المصدر الرئيسي للقصة الحديثة هو ذات الكاتب • ولقد استمد كتاب القصة العربية الحديثة من ذواتهم عناصر انتاج قصصي ليس بالهين وهم يعربون من أفكارهم أو يصفون مشاعرهم حيال قضايا الوجود أو حيال قضايا مجتمعهم• خضعت مصادر هذا الانتاج القصصي الى نوعين رئيسيين من المؤثرات ، مؤثرات العوامل السياسية والاجتماعية التي تغلي في دنيا العرب منذ فجر نهضتهم الجديدة دون ان تنتهي بهم الى حال من الاستقرار ومؤثرات العوامل الذاتية للكاتب العربي المتصلة بثقافته ونفسيته ومعاشه • فالاضطرابات السياسية والاجتماعية جعلت ذاتية الكاتب تختص حوادث معينة من حوادث الحياة باهتمامها ، تغلب عليها نزعة تشاؤمية او طابع نضالي سببهما واقع البؤس في طبقات كثيرة من المجتمع ومخلفات عهود الظلام الاخيرة في أنفس الناس ومشاعرهم والمعارك الكثيرة التي خاضها العرب ، ولا يزال عليهم أن يخوضوها ، ضد الطغيان والفساد والاعداء المتكالبين• أما الخصائص الذاتية للكاتب العربي فقد جعلت يتناول تلك الحوادث التي يرويها من نواح معينة هي نواحي القلق والتساؤل والشك ، وهي نواح على كونها كثيرة التداول في أفكار الفنانين ، ترجع الى تأثرات الكاتب بثقافة عالمية تفيض بالقلق والى عدم الاستقرار الذي يبدو جليا لهذا الكاتب أينما التفت في منظمات الانسانية وفي قيم الفن والاجتماع والاقتصاد • وليس في نيتي ولا في مكنتي أن أعدد هنا مصادر القصة الحديثة بالتفصيل وان اصنفها في ثبت يرجع اليه القراء والباحثون عند الحاجة • وانما يهمني ان أتكلم عن صلتها الوثيقة بالكاتب ذاته وبيئته وعلى علاقتها بنجاح القصة العربية الحديثة وتبوئها مكانا لها لائقا في الادب الإنساني المعاصر •

أنا ، كقاص ، من انصار الادب الذاتي • وأجد من حق كاتب القصة ، أن لم يكن من واجبه أن يرسم لنا الحياة من خلال نظرته هو وان يريتا حوادثها بعينه هو • لذلك لي اعتراض على اتخاذ قصصينا الحديثين ذواتهم مصادر أولية للقصص الذي يكتبونه ، بل اني أجد هذه المصادر جديرة الحديثين ذواتهم مصادر أولية للقصص الذي يكتبونه ، بل اني أجد هذه المصادر جديره بان تكون معدنا لأب سام بالغ مبالغ الكمال • فما هوالمدى الذي بلغته قصتنا الحديثة المستمدة من هذه المصادر ، التي أراها مثلي بين المصادر ، ماهو المدى الذي بلغته قصتنا من النجاح ؟

لا تعوزنا جرأة كبيرة لنقول بأن أدبنا القصصي ، بالقياس الى الآداب القصصية العالمية ، لا يزال دون مانحب ونشتهي • أنا شخصيا اني حين اقرأ قصة عربية في مجلة أو كتاب اقرأهادوما ، لا متمتعابقرائتها ، فالذين يستطيعون كتابة قصة تمتعنا قليلون جدا بين الكتاب العرب ، بل اقرأها باحثا علي أقع على قاص كتب قصة لاعجب فيها • ثمة مواضيع رائعة ، وأساليب بديعة ، وطرق في التحليل النفسي وفي أيراد المنولوج الداخلي موفقة ولكنها كلها مقبولة باعتبارها محاولات • غير انها نادرا ما تستمر لتكون أثرا كاملا معدوم العيوب الفنية في ميدان القصة • قد تقولون لي : هذا حكم قاس نقبله في المبتدئين ، فما بال كتابنا الكبار الذين توطدت شهرتهم وثبتت قدرتهم ؟ لقد كنت مثلكم اطرح على نفسي هذا السؤال أحيانا متسائلا عما يقعد بكتابنا الكبار عن أن يكونوا كتابا عالميين ، الى أن جاءني الجواب في ذات مرة من البروفسور هانس استاذ لغات الشرق الاوسط في جامعة ارلنغن ثم في جامعة مونستر في وستفاليا • لهذا المستشرق الالماني رأي حسن بالقصص التي اكتبها ، وقد سألته حين لقيته عما يدعوه الى تفضيله على ما يكتبه ادباء كبار أنا اعترف بافضليتهم ، فلان وفلان فقال : قد يعجب قراء العربية بهؤلاء الكتاب، أما القراء العالميون فلا ••• ذلك أن قصصهم غريبة الروح وان كانت اسماء الابطال فيها عربية ، فلو ترجمت الى لغة أوروبية لن يجد القارىء الغربي فيها الا قصته المألوفة التي عنده منها الشيء الكثير وبمستوى أعلى •••

حكم البروفسور فير هذا اذا صح ، ويبدو أن فيه من الصحة شيئا كثيرا ، يعود بنا الى مبلغ تأثير مصدر

القصة على قيمة القصة • كما انه يعيننا على التعرف على العناصر التي يمكننا ان نسميها مصادر للقصة ونكون في تلك التسمية صادقين • ان هوية اشخاص القصةوجغرافية المكان الذي تجري فيه حوادثها ، اذا كانتا عربيتين ، لا تكفيان لاعطاء القصة الصفة العربية ، والا لامكننا أن نقول ان قصة الاماني المنة في حديث قبول وورد جنة التي عربها محمد عثمان جلال عن بول وفرجيني قصة عربية • الروح التي تعمر رؤوسهم ، والمشاعر التي تملأ نفوسهم يجب أن تكون منبعثة من صميم طبيعتنا ، من روحنا وافكارنا ومشاعرنا لتصبح قصتنا عربية صادقة النسبة الينا • الطبيعة العربية المخلصة التي يجب أن يصدر القاصون منا عنها هي المصدر الحقيقي لقصتنا الحديثة • هذه الطبيعة يمكنها أن تتجلى ، لا في هويات الاشخاص او جغرافية الامكنة ، بل في سلوك أبطال القصة وطريقة معالجتهم للأمور فيها ثم بالتأثير الذي يفرضه الكاتب في أسلوبه وتناوله للاحداث ، على القارىء كيف نفعل ليكون صدورنا عن هذا المصدر الحقيقي ؟ ليس من السهل أن نحدد قواعد موضوعية صارمة يمكن للكاتب باتباعهر ان ينجح في كتابة قصة عربية حديثة • ولكن الموهبة الفنية المدعومة بالثقافة الجيدة ، وما كان منها بالآداب العربية لا غنى عنه ، هي أولى ابداع الكاتب المبدع • ثمة صفة أجد شخصا ان ليس من مندوحة عنها للمبدع هي صفة الصدق والاخلاص في التعبير • كل افتعال من الكاتب وتصنع يحول بينه وبين حسن التأثير في قارئه • فاذا صور الكاتب مخلصا عن سجيته فانه سيجد أن شروط الهوية والمكان العربيين التي كان نظنها ضرورية لكتابة قصة عربية قد اصبحت ثانوية • فكاتب غربي يكتب قصة تجري حادثتها في فنلندا لا يمكن الا أن يكتب قصة عربية اذا كان مخلصا في نفسه ولأدبه، ولو كانت أرض الحادثة فيها مكسوة بالثلوج في أغلب أيام السنة وكان اسماء ابطالنا يان وبيركو وفرنا • واذا جاز لي أن استشهد بما كتبته أنا كقاص فاني أذكر رأي مارون عبود في بعض قصص « قناديل اشبيلية » اذ كتب يقول في نقده لها : « لا تغرك قيافة الدكتور العجيلي الفرنجية « قناديل اشبيلية » فهو يخفي تحتها بداوة فلما نجد لها نظيرا في الصحارى ، وكما لم تخف بداوة المتنبي في شعره بعدما عاش في القصور كذلك لا تختفي بداوة العجيلي حتى في أشهر العواصم الاوروبية التي عاش فيها •

ترى الى أي مدى يدرك ممثلو الموجات الجديدة من كتاب القصة بيننا أن يصدروا فيما يكتبون عن طبيعة ذواتهم وامتهم وبلادهم الصادقة ؟اني اسأل عن كتابنا الجدد لأني اطمع أن أجد بينهم من يبلغ القمم التي قصر السالفون دون الوصول اليها • ولكني ، وللأسف ، لا زلت كما قلت اتابع ما اقرأ من قصص وكل همي أن أجد القاص الذي استطاع أن ينتج القصة الجيدة التي لا مأخذ فني عليها • ان أكثر ما يؤسفني من قصاصينا ضعف ثقتهم بخصائصهم القومية ، من الناحية الفنية أدبا مقلدا ، اشخاصه واحداثه عربية ولكن مصادره الصحيحة مستجلبة منتحلة • انه يصمد للزمن وتهاوى • واليوم نرى ملامح مدارس جديدة يلتزمون أدب الضجر والغثيان والعبث وهم يحسبون ويقولون انهم يقصون روح امتهم في حين انهم يقلدون سارتر وكامو وأحزابهما انهم لن يلبثوا حتى يتهاووا مالم يعودوا الى مصادر أصيلة للأدب في نفوسهم • ما يكتبون ليس قصصا عربيا لأنه لم يصدر عن طبيعتهم الصادقة كأدباء عرب • فلكي تكون لنا قصة عربية حديثة ، قصة بالمعنى الصحيح وفي المستوى الذي نحب ونهوى ، يجب أن تكون مصادرها ، مهما كانت المصادر التي اقتبسنا منا قبل اليوم ، يجب أن تكون مصادرها ذواتنا ، طبيعة ذواتنا العربية ، وان تكون وسيلتنا في الاغتراف من هذه المصادر الاصيلةالاخلاص فيالمعالجة والصدق في التعبير •

مـن الوطن العربي

بزغت أنوار الحضارة الاولى

محمد علي الزرقا

اذا القينا نظرة فاحصة على ما خلفه الانسان المتحضر منذ فجر الحضارة الاولى حوالي (٤٠٠٠) ق٠م حتى الالف الثاني قبل الميلاد ، في مختلف المناطق المعمورة انذاك ٠ ودققنا فيما ابدعته عبقريته من آلات وصناعات ومعدات حربية ونظم وكتابات وآداب وفنون ٠ وتتبعنا تنقلات ذلك الانسان المتحضر في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الحضارة الانسانية ٠ وحاولنا ان نستنتج من ملاحظاتنا هذه خطوطا عامة لتاريخ نشأة الحضارة ولموطن هذه النشأة ولعواملها المادية والمعنوية وللظروف المختلفة التي رافقتها ٠ لتوفرت لدينا مجموعة من الفرضيات المهمة التي اذا عرضناها بشكل مختصر مبسط امكننا ان نحدد الجواب على عدة اسئلة مهمة في هذا الباب ومن هذه الاسئلة ٠

كيف نشأ الانسان وأين نشأ٠٠ما هي الادوار التي مر فيها حتى انتقل من دور الهمجية الى مرحلة الحضارة ٠٠ ماهو الموطن الذي بزغت فيه خيوط الحضارة الاولى وما هي العوامل المساعدة على ذلك٠٠الشروق وأي جنس من البشر كان له شرف السبق في هذا المضمار ٠٠ الخ من الاسئلة التي دار حولها، في القرنين الاخيرين، جدل طويل، وما يزال معظمها بدون جواب علمي قاطع ٠٠

ان الجواب على هذه الاسئلة محير حقا ان لم يكن معجزا، فالادلة التي يعتمد عليها عقل الانسان انما هي ادلة افتراضية وقرائن مادية قليلة ٠٠ وجلها مما اكتشفناه من آثار الباقين ولكن مما يثلج قلوبنا انه كلما زادت اللقى التي نحصل عليها زادت بالتالي معرفتنا واصبحت فرضياتنا أكثر قربا من الحقيقة المجردة ٠٠ واذا سمحت لنفسي بان اسمي هذه الفرضيات حقائق في بعض كلامي فذلك ليس الا من باب التفاؤل ولأن الحقائق المجردة عن الزيف والتعصب وضيق الافق هي ضالتنا ٠

وقد بدأ الجدل بين من تصدوا لأول مرة للكشف عن في نشأة الانسان ونشأة الحضارة ٠ وأماكنها وتواريخها

وقد بدأ الجدل بين من تصدوا لأول مرة للكشف عن حجب الماضي بطرق علمية أي بين الاوربيين ٠٠ وبما أن معظم المناطق التي يتناولها هؤلاء بالدرس انما تقع في بلاد الشرق وخاصة في الشرق الادنى ٠ فقد تدخلت العوامل السياسية والقومية٠والعنعنات والتعصب والاغراض الاستعمارية في تحديد احكام الكثيرين منهم ٠ ولذلك أجاز الكاتب الاميركي ويل ديورانت لنفسه أن يقول في كتابه تاريخ الحضارة (١) (وقصارى القول أن الآريين لم يشيدوا صرح الحضارة ، بل أخذوها عن بابل ومصر ، وان اليونان لم ينشؤا الحضارة انشاء لأن ما ورثوه منها اكثر مما ابتدعوه ٠ وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنين ، وجاءت الى مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب ٠ فاذا درسنا الشرق الادنى وعظمنا شأنه فانا بذلك نعترف بما علينا من دين لمن شادوا بحق صرح الحضارة الاوربية والامريكية ، وهو دين كان يجب أن يؤدي من زمن بعيد) ٠

---

(١) جزء ثاني ص ١٠ ترجمة محمد بدران طبعة مصر ، نشرته الجامعة العربية ٠

سنحاول تجنب الوقوع في الاخطاء التي وقع فيهـــا معظم اولئك الكتاب المتحيزين ولذلك فلن نحمل الاثار الباقية من المعاني اكثر مما تحتمل محاولين ان نعطي كل ذي حق حقه ، مجردين من عاطفة التعصب الذميمـــة ولهذا فلنا العذر اذا احجمنا عــن اعطاء احكام مبرمة في قضايا مازال الجدل حولها محتدما • مكتفين باعطاء رأينا الشخصي مع تقديم مبرراته أيضا تاركين للقارىء المدقق أن يقتنع بما نقول أو أن ينقضه أو يخالفه •

ماهي الحضارة التي نريد الحديث عنها : وما الـذي يفرق بينها وبين الثقافة وفنون المعرفة ؟•

عاش الانسان على سطح الكرة الارضية منـذ مليون عام(١) ولكنه كان قد خرج لتوه من عهد الحيوانيةوكون ما يسمى بالمجتمع • ومنذ أن عاش الانسان في مجتمع بدأ يكتسب من خبراته دروسا عن مئات المناطق التي عاش فيها الانسان القديم وخاصة منذ أربعين الـف عام •• فاصبح بامكاننا ان نتتبع تطوره خلال عصريه الحجريين القديم والحديث •• وكان لزاما علينا ان نضع قائمـــة طويلة بما اكتسبه هذا الانسان المتفتح للحياة من خبرات ومعارف نضع على رأسها اكتشافه للنار وصنع الاسرجة من شحم الحيوان ليضيء فيها ظلمة حياته في اللياليالقره وتهذيب الاحجار وتذليلها وصنع الآلات منها ، واختراع صناعتي النسيجوالخزف وصنعالعجلات والقوس والسهام والفنون كالنقش والرسم •• والصيد وتدجين الحيوانات والرعي ، والبناء وصناعة السفن والنقل والتجـــارة •• مجموعة كبيرة من ينابيع الثقافة والمعرفـة التي اختزنها الانسان ونقلها كخبرات حية الى أولاده واحفادهوجيرانه •• ولكن هذه الثقافات هي غير الحضارة طبعا • فالحضارة مجموعة من النظم الاجتماعية والقواعد المتعارف عليهـا السائدة في مجتمع ما والتي تساعد الانســان على زيادة انتاجه الثقافي وتحسينه من جهة وعلى حماية هذا الانتاج وتعليمه ونقله من جيل الى جيل من الجهة الثانية (١) وعناصر الحضارة التي نتحدث عنها أربعة :

١ ــ الموارد الاقتصادية

٢ ــ النظم السياسية

٣ ــ الاعراف الخلقية

٤ ــ حماية العلوم والفنون وتعلمها •

ان هـــذه العناصر المتعددة الجوانب والتي سنعود الى شرحها بتفصيل أكبر ، ليست مجرد تراث مشتت من الثقافات تسود أينما استطاع الانسان ان يكتسب خبرة ما •• بل انها محصلة انظمة تسود في المجتمع وتمنحــه شيئا من الاستقرار والطمأنينة والسيادة •• فهي تبـدأ ــ على حد تعبير ويل ديورانت ــ حيث ينتهي الاضطراب والقلق • لأنه اذا ما أمن الانسان من الخوف ، وتحررت نفسه مــن رهبــة الجوع ، انطلقت مـع دوافع التطلـع وعوامل الابداع والانشاء •• فاذا سارت شوطا في هذا السبيل الممهد ، لا تنفك الحوافز الطبيعية ــ بدورها ــ تستنهضها للمضي أكثر فاكثر ، في طريقها الصاعد •• لفهم كنه الحياة والتعمق في معانيها واغنائها بما يضفي عليها الجاذبية واللمعان •؟!

وبناء على ذلك يحق لنا أن نحصر عصر المدنيـــة أو الحضارة في نطاق ضيق من التاريخ هو النطاق الاخير •• فاذا أخذنا برواية (اليوت سميث) واعتبرنا أن الانسان يعيش منذ مليون عام •• وأخذنا بالرأي الذي يقول بان الانسان عاش في عصره الحجري القديم منذ اربعين الف عام •• حتى الالف العاشرة قبل الميـلاد وانه انتقل الى عصره الحجري الحديث منذ الالف العاشرة حتى الالف الخامسة أو الرابعة قبل الميلاد فان فترة الحضارة التـــي

(١) على راي ج • اليوت سميث الذي كشف عن كهف تشوكوتين قرب بين في الصين ١٩٢٩ وارجع عهد البقايا البشرية فيه الى عصـر البليوستوسين الجيولوجي الذي مر قبل مليون عام •

(١) راجع ويل ديورانت قصة الحضارة جزء ١ ص (٣) طبـع القاهرة ١٩٤٨ ترجمة زكي نجيب محمود • نشرته الجامعة العربية •

(٢) المصدر ذاته ••

نتحدث عنها لا تتناول الا النهاية القصيرة نسبيا من ذلك التاريخ الطويل وهي ترتبط بحياة الانسان المتمدن بعد الالف الرابعة قبل الميلاد .. أي منذ اكتشف الانسان الكتابة . في المنطقة الممتدة من جبال عيلام (زغروس في شرق الوطن العربي) حتى سـواحل البحر الابيض المتوسط ووادي النيل .. فقد ظهرت الكتابة لاول مرة في مصـر ووادي الرافدين حوالي الالف الرابعة قبـل الميلاد اذ بدأت ضربا من ضروب النقش والرسم . وقد اكتشفنا كثيرا من بقايا هذه النقوش الخزفية ومنها مايعود الى ٧٠٠٠ عام في منطقة تمتد من اسبانيا حتى جبال عيلام. ومعظم هذه الرموز المكتشفة والتي يربو عددها عـلى (٣٠٠)(١) متشابه في جميع الارجاء مما يدل على علاقات تجارية موغلة في القدم قامت في عهد يرجع الى ماقبل ٥٠٠٠ عام(٢)

ويقينا أنه ما جاءت سنة ٣٦٠٠ ق.م حتى كانت مدن سوساواور ونيبور والوركاء ومدن مصر وسواحل سوريا وفلسطين قد طورت مجموعة من الصور التي كانت تعبر بها عن أفكارها واستخدمتها كرموز كتابية اطلق عليهـا اسم الكتابة الهيروغليفية . ثم تطورت بانتقال المعنى من الصورة الحسية الى الفكرة التي تمثلها ثم الى رمز لصوت أي الى حرف كما جاءت في ابجديـة اوغاريت (رأس شمرة) وهي أقـدم ابجدية على وجه الارض.(٣) وقد صدرها الفينيقيون الى جميع الشعوب التي تعاملوا معهامع سلعهم.، وكانـوا يطلقون عليها الاسمين الساميين (الفا بيتا)(٤)

الامـم المتحضرة : وبنـاء على ما تقدم وجب علينـا أن نحدد الامم المتحضرة التي نتحدث عنها .. من هي الامة المتحضرة ؟ . ولماذا كان لها شرف السبق ؟ .

لقد مر معنا قبل قليل أن المعرفة الانسانيـة التي هي مجموعة من الخبرات كانت سابقة للحضـارة التي هي منظمة اجتماعية واضحة المعالم والحدود .. ولكن تلك المعارف التي اكتسبها الانسان من خبراته الطويلة ، لم تكن الا المقدمات البديهية لقيام الحضارة .. ولذلك فان اكتشافنا لبعض معالم هذه الثقافات في مجتمع بشري ما أو في منطقة معينة ليس دليلا على قيام الحضارة في ذلـك المجتمع أو تلك البقعـة وان كـانت مجرد مقدمات أو مؤهلات لقيام حضارة ما .. ولهذا فلن نستطيع الاخـذ بالاساطير التي تحدثت منذ أقدم العصور عـن حضارات غامضة غير معروفة .. ولكننا مع ذلك لا نستطيع بالطبع أن نرفض كل هذه الروايات مرة واحدة بدون سبب لمجرد اننا لم نـكتشف ما يثبت وجودها . قال بيكن(١) ما التاريخ الا حكام سفينة تبعثرت اشياؤها وضاعت .. وقد ضاع من الماضي أكثر مما بقي . كما أن هناك عدد من المؤرخين والباحثين العلميين يعتقدون بصحة كثـير من تلك الروايات . التي شطح بها الخيال فضاعت بعض حقائقها في خضم مـن الاساطير . لا سـيما وان حفائرنا الحديثة تدل على مدى احتمال الصدق في هذه الاساطير(٢). ومن امثال هؤلاء.العالم الاثري شيلمان الذي بعث خرائب طروادة بعد موت : والذي يعتقد أن مصر قد استمدت حضارتها من حضارة اطلنطس التي تحدث عنها افلاطون وروى صورا جذابة عن حضارة ازدهرت يومـا على قارة محاطة بالماء بين أوروبا وآسيا ثم ضاعت بين عشية وضحاها حين ارتجت الارض وابتلع اليم تلك القارة في جوفه(٣) ولا أدل على امكانية صحة ذلك من ان العالـم الاثري بمبلي ، قد اكتشف في عـام ١٩٠٧ ، في مدينة (أناو) جنوب التركستان نوعا من الخزف والآثار البشرية تدل على وجود ثقافة قديمة في تلك المنطقة قدر ويل ديورانت عمرها بما لا يقل عن ٥٠٠٠ سنة .

(١) جزء ١ ص ١٨١ ـ ١٨٤ راجع مازون تاريخ الكتابة ص ٣١٣ .
(٢) المصدر ذاته ص ١٨٢
(٣) شيفر .
(٤) ويل ديورانت جزء ١ ص ١٨٤ .

(١) ويل ديورانت جزء ١ ص ١٨٦ .
(٢) ويل ديورانت جزء ١ ص ١٨٥ .
(٣) كريتياس ١١٣ .

ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نسمي تلك الامم متحضرة •• فالامة المتحضرة انما هي الامة المستقرة التي يسودها سلم نسبي وأمن وتفرغ للابداع والتطور وامكانيات لحماية هذا التراث الثقافي وأهم من كل ذلك موارد اقتصادية كافية وشبه مستقرة وكل ذلك يقتضي وجود نظم لديها •

فقد يكون لشعب ما مؤسسات اجتماعية واعراف خلقية، بل وقد تزدهر فيه بعض الفنون ومع ذلك فانه ان ظل في مرحلة الصيد البدائية واعتمد في وجوده على ما عسى أن يصادفه من قنائص فانه يستحيل عليه أن يتحول من الهمجية الى المدنية تحولا تاما، وكذلك الامر بالنسبة للبدو في كل مكان •• وربما كانت الزراعة أول صورة تبدت فيها الثقافة لونا حيا من الوان الحضارة(١) لأن الزراعة تفرض على الانسان الاستقرار وتمنحه المزيد من القوت، فيجد الفراغ الذي يفكر فيه ويبدع ويتخيل ويتمدن، وكيف لا يتمدن وقد استقر في مكان يفلح تربته ويخزن فيه زاده ليوم قد لا يجد فيه مورد لطعامه؟ أجل في هذه الدائرة الضيقة من الطمأنينة ـ أعني موردا محققا من ماء وطعام ـ بدأ الانسان يبني لنفسه الدور والمعابد والمدارس ويخترع الآلات التي تعينه على الانتاج ويستأنس الكلب والحمار والخنزير ثم يسيطر على نفسه آخر الامر • فيتعلم كيف يعمل في اضطراد ويحتفظ بحياته امدا أطول ويزداد قدرة على نقل تراث الانسانية الثمين من جيل الى جيل بواسطة الكتابة ••

ان المدنية ترتبط •• بالزراعة • أي بالاستقرار •• أي بالمدينة •• ففي المدينة حيث يتلاقى انتاج الريف والمدن وحيث تلتقي المدن المتعددة القريبة والبعيدة وحيث يتم الانتاج الصناعي ويزدهر ويتطور وحيث يتناول التقدم جميع وسائل الناس من سلع وافكار وحيث تلتقي طرق التجارة فتتلاقح فيها العقول • وحيث تزول الاخطار أو تتناقص وترق المعاملة وتتهذب طباع الانسان ويرهف ذكاؤه وتستثار فيه قوة الخلق والابداع • تعيش الامم المتحضرة عادة وتنمو ••

فأين بدأت الحضارة هذه ؟• وأي أمة أتاحت لها الطبيعة والحياة ان تملك من الوسائل والامكانيات ماجعلها تلج رحاب المدنية قبل غيرها من الامم ؟•وأي وطن ذلك الذي بزغت فيه خيوط ذلك الفجر الاولى؟ اسئلة عويصة!!• قام حولها جدل طويل •• طويل •• واختلفت فيها الآراء واحتدم النقاش وتدخلت الغايات والعنعنات والتعصب • وتاهت الحقيقة في خضم من الضلالات كما سبق وشرحنا ••

ولكن ثمة اثار مادية ملموسة كشف عنها التنقيب وسجلتها الدراسات العلمية التي لا يمكن تحويرها وان كان المؤرخون قد اختلفوا في تفاسيرها • من هذه الحقائق المهمة مايلي :

لكي تقوم في بقعة ما، ظروف ملائمة لنمو الحضارة وازدهارها •• لابد من ان تتوفر شروط أولية هي من بدهيات الموضوع • أولها الشروط الطبيعية •

لقد مر على الارض فترات زمنية طويلة جدا ساد فيها الجليد وغمر معظم بقاع الارض • وقد استطاع العلماء أن يحددوا أربع فترات لهذه الموجات الجليدية كانت تندفع فيها الموجة الجليدية ثم تنحسر لتخلفها فترة من الاعتدال ثم تهجم موجة ثانية وتنحسر لتحل محلها فترة اعتدال ثانية وهكذا حتى مرت أربع موجات تلتها أربع فترات اعتدال • والموجة الجليدية الاخيرة أو الرابعة استمرت مابين ٥٠ ـ ٢٥ الف سنة قبل الميلاد ثم تلتها فترة الاعتدال الرابعة التي نحن فيها والتي لا نعرف كم ستدوم ومتى ستدهمنا الموجة الجليدية الخامسة من الشمال لتدفع بنا الى الجنوب ••• الى حيث نستطيع أن نكافح ضد الجليد وقساوة المناخ (١)

وهكذا نستطيع أن نؤكد علميا بأن الحضارة التي

(١) فجر الحضارة في الشرق الادنى : هنري فرانكفورت الطبعة العربية ص ٣٩ ـ ٤١ •

(١) ول ديورانت جزء ١ ص ١٥٦ •

نتحدث عنها ما هي الأ جزء بسيط من مرحلة تتوسط بين عصرين من جليد •• فتيار الجليد قد يعاود الارض في أي وقت فيغمرها مرة أخرى ويحصر الحياة في نطاق ضيق من سطح هذه الارض بركام من ثلوج واحجار ••

لقد قلنا بان اكتشاف كهوف بيبن قد برهنت على أن الانسان عاش منذ مليون عام (عصر البليوستوسين الجيولوجي) • فلا بد أنه قد اجتاز عصور الجليد كلها دون أن تقضي عليه القضاء المبرم •• فكيف استطاع ذلك •• وكيف تمكن من أن يحتال على الطبيعة وان يذلل مصاعبها ؟ •

لقد اخترع النار والسراج واستعمل الادوات الحجرية والقوس والنشاب وصنع الفخار والعجلات وبنى البيوت وغير ذلك كثير •• ولكن أهم ما قام بها للتكيف مع احداث الطبيعة الخارقة انه انتقل من مكان لم يعد ملائما الى امكنة اخرى في موجات موغلة بالقدم •• ومن اراض ثلجية مقفرة مميتة الى اراضي خضراء ذات ماء وشجر وحيوانات وصيد •• ومناخ معتدل •• أي جنوب المناطق التي غمرتها الثلوج •

ان نظرة علمية نلقيها على الخارطة تعطينا صورة حية عن تلك المناطق الغناء في عصور الجليد المتأخرة •• حيث لجأ الانسان القديم •• تعطينا المناطق الجنوبية من آسيا وشمال افريقيا •• بالنسبة للعالم القديم •• وهكذا اصبح العلماء قادرين على الجزم بأن جزيرة العرب وشبه جزيرة الهند وشمال افريقيا والصحراء الكبرى • حيث تمتد الآن قفار تتلو القفار وحيث يسود الجفاف والقسوة •• كانت تقوم مناطق غنية باشجارها ومائها وانهارها •• أماكن استطاع الانسان القديم أن يجد فيها ملاذه ••

ولم لا يلجأ الانسان الى المناطق المعتدلة، والمناخ السيء عائق أساسي امام تطوره ونموه وبقائه • ان المناخ السيء والقسوة التي تلازمه لا يسمحان قط بنمو الحضارة بله قيامها لان الحضارة من لوازم الترف والدعة والاستقرار • أن المناخ السيء يصرف الجهود عن كماليات الحياة التي هي قوام المدنية ويستنفدها جميعا في اشباع الجوع من جهة وفي عملية التناسل من الجهة الاخرى(١) لضمان البقاء وقلما يتوفر له هذان الشرطان الا بشق الانفس •

لا نريد أن يفهم من كلامنا ان البقاع الجنوبية التي تاخمت مناطق الجليد قد احتكرت الانسان القديم بل على العكس نجد اثار الانسان في أعصر الجليد نفسها في بقاع مختلفة من العالم • فمن الدانمارك الى الصين الى غرب أوروبا الى شمال افريقيا الى الهند الى الوطن العربي قد احتضنت في جوفها كثيرا من اثار الانسان في عصريه الحجريين القديم والحديث • وفي هذه الاثار الباقية الكثير مما يشير الى عمق خبراته ومدى تطوره •

ولكننا نلاحظ ان الاثار التي خلفها في المناطق التي تميزت باعتدالها كانت أكثر تطورا واقرب الى الحضارة من الاثار التي خلفها في المناطق التي غمرها الجليد •

ومع أن الدراسات العلمية الدقيقة صعبة جدا في هذا الباب نستطيع أن نقول اننا لو تتبعنا تنقل الانسان في تلك الاعصر الخالية ودرسنا ما خلفه لنا من اثار تلك الحقبة من الزمن للاحظنا أن البقعة الجغرافية التي نطلق عليها اسم الشرق الادنى وهي تمتد عادة من اواسط آسيا وسواحل بحر الخزر، حتى البحر العربي وجنوب اوروبا وشمال افريقيا ووادي النيل •• أقول للاحظنا أن هذه البقعة تمثل المهد الاول والاهم التي تفتحت فيه البراعم الاولى لثقافة الانسان ومعرفته، ثم ما لبثت أن تفاعلت بعضها مع بعض واستفادت من تجاربها الحية فانعقدت ثمارا يانعة • كما نلاحظ أن هذه البقعة الجغرافية الواسعة انما تمثل لنا دائرة ذات حدود خارجية تتوسطها بؤرة داخلية تمتد من الفرات الى النيل في هذه البؤرة التقت جميع التجارب والخبرات •• وفيها تفاعلت وامتزجت فانتجت

---

(١) ويل ديورانت جزء ١ ص ٤ •

مزيدا من التطور والتحسين والنمو •

ان وادي الرافدين من الشرق ووادي النيل من الغرب يعطيانا في الالفين الخامس والرابع قبل الميلاد تفاصيل وافية ، وينقلان الينا بقايا ولقى تاريخية في غاية الاهمية، تبرهن لنا أن معلومات الانسان المتحضر قد ازدهرت ونمت وتحولت حياته في هذين الواديين وفي غيرهما •• الى مجموعة من الانظمة والقواعد الثابتة المستقرة •

ان المنطقة التي تنحصر بين واديي النيل والرافدين كانت المهد الاول للانسان المتحضر • ففي هذه البقعة عثر المنقبون على كهوف النطوفيين (جبل الكرمل)(١) وعثروا فيها على اثار اقدم انسان استعمل المنجل قبل زمن لا يقل عن ٦٠٠٠ سنة ق•م• وفيها عثر المنقبون ايضا على ابجدية آوغاريت (رأس شمرة شمالي اللاذقية) وهي اقدم ابجدية على وجه الارض • وكشفوا عن اثار قلعة نارام سن الاكدي قرب براك (شمالي سوريا) ووجدوا فيها بقايا اخشاب متعددة الانواع والمصادر ، تدل على عمق الصلات التجارية في ذلك الحين • كما كشفوا عن مصب دجلة والفرات على اثار اولى الحكومات المركزية واولى النظم والقوانين في التاريخ ، وكل هذه الدلائل التاريخية تؤكد لنا ما ذهبنا اليه من ان هذه المنطقة كانت الموطن الاول للحضارة البشرية • فهو ـ والحالة هذه ـ يعتبر بحق المنبع الذي تدفقت منه موجات الحضارة على مر الزمن في جميع الاتجاهات وكلما قويت الموجات البشرية المتحضرة وتدافعت اتسعت الدوائر المبتعدة عن البؤرة مثلما تتسع الدوائر المتموجة في بحيرة القي فيها بحجر(٢) ••

ان الدراسات الجيولوجية الانثروبولوجية تعطينا معلومات وافية وتعليلات علمية قيمة في تفسير هذه الحقيقة• واستنادا على هذه المعلومات والتعليلات نستطيع ان نقيم قواعد فرضياتنا ••

في العصر الجليدي الرابع كانت جزيرة العرب وهضبة بادية الشام وشمال افريقيا والصحراء الكبرى منطقة اعتدال مهمة جدا بالنسبة للجنس البشري • ففي تلك الفترة لم تكن دلتا دجلة والفرات قد تكونت ولا دلتا وادي النيل وكانت هذه الانهار الثلاثة تنتهي بمناقع ذات آجام ورطوبة لا تلائم الحياة •• وكان يقوم الى جوارها من كل جانب الاراضي المرتفعة المكسوة بالاشجار التي تصيبها امطار كافية والتي يسود فيها مناخ معتدل مثير للنشاط • وليس ذلك غريبا •

فمناطق الضغط الجوي كانت تقع الى جنوب موقعها الحالي بسبب صفحة الجليد التي تغطي المناطق الشمالية والوسطى من اوروبا واسيا وبالتالي فان منطقة الرياح المنتظمة الدائمة كانت الى الجنوب من موقعها الحالي ايضا وهكذا فان امطار هضبة جزيرة العرب والصحراء الافريقية كانت كافية لان يرتع فيها الجنس البشري في رغد نسبي ••

ولكن صفحة الجليد ما لبث أن تحطمت وذابت تحت اشعة الشمس المحرقة وانحسرت موجة الثلوج الى الشمال •• وانتقلت المنطقة المعتدلة معها ايضا وانتقلت مناطق الضغط والرياح والامطار• تاركة موطنها الاصلي

(١) فجر الحضارة في الشرق الادنى هنري فرانكفورت ص ٣٩ • و (و•١• غارود و د•م•١• باينس العصر الحجري ـ جبل الكرمل ـ اكسفورد ١٩٣٧) •

(٢) ليونارد وولي : حفريات سومر ـ وادي الرافدين مهد الحضارة ، طبع بغداد وترجمة أحمد عبد الباقي :

عرضة للجفاف التدريجي وللمحل وللجوع الذي دفع بالسكان للتطلع الى ما حولهم باحثين عن مورد للغذاء وللماء •• فاطلوا على الوديان النهرية الخصبة وكانت دلتاوات هذه الوديان قد تطورت ونمت واتسعت واخذت مياهها الاسنة تجف وتضيق مناقعها •• ويتحسن مناخها شيئا فشيئا •• وهكذا اتجهت اليها هجرات البشر •• فمن الاصقاع الهضبية القاحلة • حيث استمر نمو الانسان شديداً غزيراً عنيفاً وضعف نمو النبات والكلاء بل كادا يتوقفان عن النمو فاندفعت الموجات المهاجرة بحثا عن الزاد والكلاء موجة أثر موجة في هجرات عارمة متتابعة من خلائق اقوياء شديدي البأس مغامرين لا يهابون الردى بعد أن وجدوا أن ارضهم التي تحولت الى صحراء بلقع وان واحاتها المتناثرة القليلة الضنينة لا تكفيهم • فكان لا بد لهم ان ينجذبوا الى مراتع الكلاء وجنات الحياة من وديان الانهار المجاورة وهكذا افتتحوا بسواعدهم وعزائمهم امكنة خصيبة ظليلة قادرة على اعالتهم والقيام باودهم • فعمروا واديي الرافدين والنيل ••(١)

وهكذا كان نهرا دجلة والفرات في شرق الوطن العربي كما كان نهر النيل في وسط هذا الوطن مصادر اولى للحياة المتفتحة للتطور •• وللحضارة •• وذلك لان هذه الوديان قد منحت سكانها الجدد الاستقرار والامن والمورد الدائم الموفور •• والرفاه النسبي والتفرغ للترف والابداع •• والتفاعل مع البشر جميعا لقد كانت وديان هذه الانهار طرقا تجارية عظيمة تمتد آلاف الاميال تلتقي عليها خبرات جميع الناس من كل البلاد ومن جهود جميع الشعوب حيث تتصادم وتتنافر وتتلاقح بنتيجة ذلك عقول حامليها وتجارها من سكان هذا الوطن •• فتلين عرائكهم وتتطامن نفوسهم وتتهذب أعرافهم فتبدع قرائحهم اول القوانين والنظم والجيوش المنظمة والدول الامبراطورية الموحدة ••وكل ما يستتبع ذلك من مؤسسات حضارية(٢)

عوامل الحضارة ولوازمها ومتمماتها :

لكي تقوم الحضارة عند شعب من الشعوب وفي منطقة من المناطق ليس من الضروري ان يتمتع ذلك الشعب باستعدادات فطرية خلقت معه وجرم منها غيره•• لكي تقوم الحضارة عند شعب كهذا لا بد ان تتوفر عوامل مادية في الطبيعة التي يعيش فيها ونفسية ملائمة نجمت عن شروط الحياة المادية هذه • فاذا ما توفرت لشعب من الشعوب أيا كان اسمه أو جنسه أو لونه فلا بد أن يبدع للانسانية ما يغنيها •• ويدفع بها الى امام ••

فما هي هذه الشروط والعوامل ؟ ••

يحدد العلماء والمؤرخون هذه الشروط التي نستطيع تلخيصها في اربع مجموعات • جيولوجية ومناخية واجتماعية واقتصادية •

١ - لكي تولد الحضارة وتنمو وتترعرع وتزدهر لا بد ان يتوفر المكان الملائم الارض السهلة التي تساعد على التنقل والاتصال وتحول دون العزلة القاتلة لا بد ان يتوفر استقرار جيولوجي بعيد عن البراكن والزلازل والجبال الوعرة والكوارث الجيولوجية المفاجئة لكي يستقر الانسان فيها أولا بدون خوف ولكي يتاح له الاتصال بغيره والاستفادة من خبراتهم •

٢ - ولكي تولد هذه الحضارة ايضا لا بد من توفر المناخ

(١) ويل ديورانت جزء ٢ ص ٣٠٩ .راجع برستد : العصور القديمة وكتابة مؤسسات الشرق •

(٢) ويل ديورانت جزء ٢ ص ١٨٨ : وجاسترو : حضارة بابل وآشور ص ٢٨٣ - ٢٨٤ •

المعتدل الباعث للنشاط فلا الجليد ولا الحرارة الشديدة •• لا الجفاف القاسي ولا الرطوبة المضنية مما يساعد الانسان على النمو •• فالمناخ السيء كما بدأنا قد يصرف الجهود عن كماليات الحياة التي هي قوام المدنية • وتوفر المطر له من الاهمية بالنسبة لدوام الحياة ما لضوء الشمس فقد يقضي الجفاف على اقطار ازدهرت طويلا وسادها العمران والسلطان •

ومما لا ريب فيه ان البلاد التي توفر لسكانها تربة خصبية تجود بالطعام والمعادن وانهارا تنعش الحياة وتهيء لسكانها طرقا هينة للتبادل مع غيرها وشطأنآ ملائمة لقيام المرافيء وبناء الاساطيل التجارية هي بلاد تتوفر فيها أهم شروط المدنية •• فاذا علمنا ان وطن العرب الذي يقدم كل هذه الشروط على افضل وجه انما يقع فوق هذا كله على الطرق الرئيسية للتجارة العالمية •• اتضح لنا مدى ما قدمه الوطن العربي للانسان المتفتح على شمس التطور منذ تلك الحقب الطويلة من الزمن •

٣ ـ ولكن العوامل الاجتماعية النفسية لا تقل اهمية عن العوامل الطبيعية فالشعب المتمدن يجب ان يكون مالكا لاستعدادات مرنة •• قابلة للتكيف متفتحة تأخذ وتعطي •• وقد منح موقع الوطن العربي المتوسط بين الشعوب لسكانه هذه المزايا ••

٤ ـ والعوامل الاقتصادية اهم كل العوامل لانها تأتي كمحصلة طبيعية لها •• تقود خطاها الاخيرة الى ساحل السلامة • فقد يكون لشعب من الشعوب مؤسسات اجتماعية منظمة كما سبق واشرنا الى ذلك في موضع آخر واعراف خلقية رفيعة، بل وقد تزدهر فيه اوليات الفنون كما هي الحال مع الهنود الامريكيين على حد قول (ويل ديورانت) ومع ذلك فان بقاء ذلك الشعب في مرحلة الصيد البدائية واعتماده في وجوده على ما عسى ان يصادفه من قنائص يحول دون تحوله من دور الهمجية الى مرحلة المدنية تحولا تاما • وقد تكون قبيلة من البدو (كبدو جزيرة العرب في الجاهلية) على جانب عظيم من الفتوة والذكاء وقد تبدي من الوان الخلق اسماها كالشجاعة والكرم والشمم ولكن ذكاءها لا يفيدها بغير اطراد موارد القوت اذ لا بد لها ـ في مثل هذه الحالة ـ ان تنفقه في البحث عما يسد جوعها في بيئة شحيحة ضنينة بحيث لا يبقى لها منه شيء لوشي الحضارة وهدابها ولطائفها وملحقاتها وفنونها(١) •• اذ كيف يتاح لها ذلك وهي لم تجد في ارضها القاحلة ما يساعدها على اقامة الزراعة المستقرة ؟ •• والحكومة الدائمة وما يتبعها من نظم ومشاريع • ان ذلك لا يتوفر الا في الارض الخصبة ذات الماء الوفير والخير العميم والرزق الطيب الكافي وقد توفر كل ذلك في واديي الرافدين والنيل •

والخلاصة التي لا بد من قولها هنا •• ان الشعب الذي عاش في وديان الانهار العربية في (الرافدين والنيل) استطاع ان يؤمن الشروط الاربعة المتقدم شرحها وبالتالي استطاع ان يضع اللبنات الاولى في صرح المدنية التليد•• وبذلك فقد اتيح له ان يفتح عينيه قبل غيره على بزوغ الخيوط الاولى لفجر الحضارة المنير ••

(يتبع) •

محمد علي الزرقا — دمشق

(١) ويل ديورانت قصة الحضارة جزء ٢ ص (٤) •

العقل والابداع

بقلم : رفيق المقدسي

قبل ان ادخل في اساس الموضوع ، أرى أن دقة البحث تتطلب اعطاء جواب مقنع للسؤال الاتي : ماهو العقل ، ومتى آمن المستمع بهذا أرى أنه من الضرورة بمكان اعطاء جواب صحيح للسؤال الثاني : ماهوالابداع؟

ولكي أعرف السؤالين تعريفاصحيحا لابد من أن ارجو المستمع من أن يجرد نفسه من جميع الآراء الموروثةالتي تكونت لديه نتيجة للبيئة أو استولت عليه من انكبابه على مطالعة الكتابات الخفيفة المألوفة التي لم تحدث أي أثر في حياتنا الاجتماعية والفكرية وأخص بالذكر منها القصص والمواضيع التي تعالج العلاقات الجنسية،لأن هذه المطالعات هي اكبر خطر يعطل اعمال العقل ويشل قوة الابداع في الفرد والجماعة على السواء .

فالعقل هو القوة الديناميكية الحية الخفيفة التي تؤلب قوى الانسان جميعها لتصب الى هدف سام أو عمل مجيد، والعقل هو الذي يبتكر الآراء القويمة ويحقق الاعمال العظيمة ويلون الآفاق باشعة الخيال ، هو حركة دائمة تعمل ولا تهدأ ، وقوة تتدافع وتتسابق للاتيان بكل نافع وجديد ، هو قوة مبدعة يهدأ كل شيء ويسكن كل شيء الا قوته فهي لا تهدأ ولا تسكن لأن اصولها عميقة في جذور الارض والحياة واغصانها باشعة تلامس قبة السماء .

أما الابداع فهو الاتيان بشيء رائع لم يسبق ان أتى به أحد قبلك ، ويشترط في هذا الشيء الرائع ان يكون فذا في ذاته ، فالابتكار في الشر مثلا ليس من اعمال الابداع اطلاقا لأن الابداع يرتكز على الاصلاح في المدنية والحضارة والتفكير والفلسفة والعلوم والآداب ، هو ابداع يحققه الانسان الذي يأبى ان يسير على طرق التقليد التافهه ليشق طرق الابتكار الصعبة الوعرة ، ولا تنس انه كلما كانت الطريق صعبة كلما كان المنال عظيما ، لذلك كان الابداع هو الصفة الغالية في جميع العباقرة الذين خلدتهم اعمالهم ونستطيع ان نقول انهم لو لم يبدعوا لما خلدوا ، ويصفت ذكراهم ونسج النسيان خيوطه فوق لوحة اسمائهم .

ومن الخطأ الفادح الاعتقاد بأن هذه القوة ـ قوة العقل والابداع ـ هي وقف على فئة من الناس او على شعب من الشعوب او على زمن من الازمنة ، اذ لو كانت كذلك لتعطلت اعمال العقل وتوقف الابداع عند سائر الافراد وباقي الشعوب وسائر الازمنة ، بينما نرى أن الحقيقة على عكس ذلك تماما ، الحقيقة هي أن قوة العقل والابداع موزعة بين جميع الناس وبين مختلف الشعوب وفي متباين الازمنة ، وما من انسان الا وله عقل يفكر ويتحرك ، وما من شعب الا وفيه امكانيات عقلية واسعة ، وما من زمن الا وظهرت فيه بوادر الابداع بالنسبة الى ظروفه وامكانياته ولكن الفرد والشعب لم يستخدموا هذه القوة الا نادرا واكثرهم لم يستخدمها أبدا ، بل نستطيع ان نقول ان نسبة من يستخدمونها لاتعدو الخمسة بين كل مليون نسمة ، وهذه نسبة كما ترى ضئيلة جدا ، وهي تدل على أن جهدا عظيما من طاقة العقل والابداع ، جهدا لاحد له، معطل عن العمل ، بل جامد في بركة آسنة من التقليد ، يدور على نفسه فتخاله يتحرك وهو كالزرع الذي تراه

يركض وهو لا يبرح مكانه •

ومن المؤكد ان هذه القوة التي منحتها السماء الى الانسان ليست على نسبة واحدة عند جميع الافراد ، بل هي على درجات كبيرة من التفاوت والتباين في الضعف والقوة ، وكما يتباين الافراد في اشكال وجوههم وتقاسيم ملامحهم فكذلك هم يتباينون في درجة استعدادهم للابتكار وقدرتهم على الابداع ،وفي سرعة تفهمهم للحادثات والاشياء تفهما سريعا وفي سرعة تجاوبهم مع هذه الحادثات والاشياء تجاوبا فوريا يدل على يقظة العقل وحضور الذهن وسرعة البديهة ، هذا التباين واقع وصحيح ، وهو ان دل على شيء فانما يدل على ان الطبيعة ضنينة على بنيها وهي لاتسرف في العطاء •

والابداع نور ومعرفة والتقليد مرض ووباء ، ولا يمكن الجمع بينهما كما لايمكن الجمع بين ضياء الشمس وظلمة الغسق ، الابداع دليل على قوة العقل ونشاطه وقدرته على الانتاج وتذوق فنون الخير والجمال والتقليد دليل على ضعف التفكير وعجز العقل عن ان يطرق أي باب جديد من أبواب المعرفة ، الابداع بنى ابراج الحضارة الانسانية وغمر الدنيا بكنوز المعرفة ، أما التقليد فكان يشد الحضارة شدا عنيفا نحو السكون والجمود ، الابداع صقل الفكر وهذب النفس ورفع منائر الاداب أما التقليد فعطل عمل الفكر وجمد الروح وحجب كثيرا من منائر الفن عن الاعين ، الابداع شق طريق الادراك امام الانسان والتقليد سد عليه منافذ الادراك ، الابداع يعطي ولا يأخذ أما التقليد فيأخذ ولا يعطي ، الابداع قائم على طموح الانسان وثقته بنفسه ، أما التقليد فمرده الى اعجاب الانسان بأتفه الاشياء وعدم اعتداده بنفسه كانسان له خطره وشأنه في هذه الدنيا •

واذا أردنا أن نلاحظ قوة مآثر العقل والابداع نراها قد غمرت الدنيا على تتابع العصور وتعاقب الاجيال ، فما كانت الاعمال العظيمة التي دوت بها آفاق الكون الا من مآثر هذه القوة التي سلطت هذا الانسان الصغير بجسمه والكبير بروحه وعقله ، على سائر المخلوقات ، وهي التي خلقت الاختراعات والاكتشافات التي حملت الانسان على اجنحتها عبر الفضاء ، وهي التي اخترعت الكواكب لتسبح الى الابد مع الكواكب الاصلية تنافسها الديمومة والخلود •

انها قوة ليس لها حدود تقف عندها ولا يوجد حواجز تستطيع ان توقف سيرها ، على عكس التقليد الاعمى الذي لاينتج الا الجمود ولا يوجد حواجز تستطيع ان توقف سيرها ، على عكس التقليد الاعمى الذي لاينتج الا الجمود المميت ، وابرز ما تظهر هذه الصورة في الادب والكتابة ، لأن الشرط الرئيسي في كل أدب او كتابة ان تنفجر من ينبوع الابتكار ، وان يستخدم الكاتب قوة العقل والابداع ليأتي بآراء جديدة وبافكار صحيحة وبتعابير مليئة بالالوان الجميلة والتشابيه القوية ، لان كل كتابة لاتنطلق من القوة المبدعة انما هي تقليد للاخرين ، وفي الدنيا كتابات كثيرة وكتب تملأ رفوف المكاتب ومقالات لا تحصى فما على الكاتب المقلد الا ان يمد يده لما كتب غيره فيأخذ منه الاراء والاسلوب والتعابير ويجمع شيئا من هنا وشيئا من هناك ليطلع به على الناس أدبا وفنا •

ولكن ليثق المقلدون والناسخون ان للناس عقولا واذواقا تدرك فورا ان هذه الاشياء ليست كتابة ولا ادبا وهي لا تترك أي أثر في نفوس القراء ، الا أثر القرف والاشمئزاز ، لأن كل مالا يخرج عن العقل لا يلتقي مع عقول الناس ، وكل مالا ينبع من القلب لا يصب في قلوب الآخرين ، لان الكلام لوحده ليس شيئا ، انما تظهر قيمته عندما يتجاوب مع نفوس الناس ، وفي الجوهر الذي يتلألأ به فيجد فيه القراء غذاء للعقل ومتعة للروح•

والابداع يمكن ان يتناول كل عمل او صناعة يقوم بها الانسان ، فالنجار يمكن ان يبدع في صناعته وكذلك الخياط والبناء وجميع اصحاب الحرف والصناعات كالزارع والتاجر والحائك ، ومن الغريب ، ونستطيع ان نقول جازمين ، ان جميع هذه الصناعات قد ابدع فيها اصحابها واظهروا من فنون البراعة والذوق ما يضعهم في مصاف

البيت والمدرسة

بقلم : حليم طيار

موضوع ليس بجديد او مستجد في عالم التربيـــة • موضوع قديم ، عالجه الكثيرون • وكتب فيه كثيرون • وضعوا النظريات ، وأرسوا الاسس ، وطالبوا بالتنفيذ • بدأ التنفيذ ، فالبعض أقدم ، والبعض أحجم ، وآخرون وقفوا في نصف الطريق • لماذا ؟

بدأ التساؤل ! فمن قائل كيف نستطيع أن نروض الاهل (على حد تعبيرهم) ونجعلهم اكثر تجاوبا معنا في مهمتنا التربوية ؟؟ •

ومن قائل ، انها مهمة صعبة،وطريقها مملوء بالشوك• ومن قائل ، ان المدرسة وما لديها من امكانيات داخلية : نظريات تربوية وغيرها،تستطيع أن تحقق الغاية لوحدها وتسير في مهمتها وتصل الى الهدف وهؤلاء يقولون ما دام هناك نظريات حديثة وأصول وطرق ، وضعها كبار المربين تكفل للمدرسة السهولة في عملها فلم الاتصال ؟

ولكن استطيع أن أقول ، ليست التربية بنظريات وطرق تستورد من الخارج ؟ انما التربية هي النظر الى واقع الحياة ومقتضياتها في كل بقعة • ثم دراسة هذا الواقع دراسة وافية من جميع الوجوه : عادات ، تقاليد، اجتماع واقتصاد ثم نفسية الفرد ومواهبه•وهذه الدراسة الاخيرة تفيدنا في تحديد نوع العمل الذي يمكن أن

كبار الصناع في العالم ، بينما نرى ان الادب ، بل جميع فنون الكتابة في بلادنا بقيت مقصرة عن ذروة الابداع ، ولعلك تقول ان الابداع في الصناعات له حدود يقف عندها ولا يتطلب الا درجة معينة من البراعة ، اما الادب وفنون الكتابة فليس للابداع فيها حدود يمكن ان يقف الكاتب عندها ، لأن مسالكها متشعبة وآفاتها غير محدودة ولا يستطيع ان يلامس قمتها الا العباقرة والملهمين ، هذا صحيح ، ومع اعترافي بصواب هذا التفريق الدقيق بين عمل الصانع وجهد الكاتب، وان للصانع في براعته حدودا يقف عندها وليس للابداع في الكتابة أية حدود ولكن ومع ذلك كان على الادباء والكتاب ان يتوقلوا حصدا ولو درجةواحدة من درجات الابداع والعبقرية لا أن يتحدروا الى التقليد الهين والى الاساليب الرخيصة واذا كنا لانطلب منهم ان يلامسوا ذروة العبقرية فان أقل ما يترتب عليهم الاقلاع عن هذا التقليد الممل ونبذ هذه الاساليب البائخة في الادب والتفكير والارتفاع ولو درجة واحدة في سلم العبقرية •

وما احوجنا ان نستخدم هذه القوة ، قوة العقل والابداع ، ونحن في أشد الحاجة اليها افرادا وجماعات لانها هي السبيل الى النهوض وهي السبيل الى الرقي وهي طريق النور ، وقد قال احد عباقرة الكتاب « العقل المبدع ينساق في معظم الاحيان بدون وعي منه ، الى ماهو خليق بقالبه » •

فكن مبدعا في قولك وعملك سر على الطريق الصعبة واعلم ان اكليل الظفر لايتوج الا هامات تلك الربى العالية التي لا يستطيع اقتحامها الا النسور •

رفيق المقدسي

يبرع فيه ويبني مستقبله على أساسه • وعلى ضوء هذه الدراسة تستنبط النظريات التي تلائم الواقع عندنا، وترفع منه الى الحد الذي تقتضيه المصلحة العامة والمصلحة القومية •

ولرب سائل : هل ننكر وتتنكر للمربين الكبار في العالم الذين وضعوا المبادىء واستنبطوا نظرياتهم بعد تجارب وأبحاث مضنية ؟ ـ نحن لا ننكر على المربين آراءهم ، أو نتنكر لهم • ولكن المثل العليا شيء ، ومحاولة تطبيق هذه المثل شيء آخر • والتربية المثلى شيء وطرق تطبيقها شيء آخر • فالطريقة التي تلائم واقعا يمكن أن لا تلائم واقعا غيره ، والسبيل لمعالجة طفل غير السبيل لمعالجة آخر • وما يصلح هناك لا يصلح هنا في أحيان كثيرة •

اذن لا بد من دراسة واقع الطفل أولا ، لنستطيع على ضوء هذه الدراسة أن تقوم بعملنا على الوجه الاكمل الأتم • وهذه الدراسة لا يمكن أن تتم ، الا بالاتصال والتعاون التام بين مجتمعات الطفل ، البيت والمدرسة •

والطفل كما هو معلوم يعيش في ثلاثة مجتمعات : بيت ، شارع ، مدرسة وهذه المجتمعات الثلاث قلما في الواقع تكون متفقة في آرائها متقاربة في رغباتها •

وفي زمن بقائه في كل منها ، ففي المدرسة يقضي ربع يومه ، ويقضي ثلاثة أمثالها بين البيت والشارع • والشارع ، وما يلاقيه الطفل فيه ، من عوائد ، لا تكون على الاغلب في صالحه

فهل تستطيع المدرسة لوحدها أن تحقق الهدف • ؟

وتظهر الحقائق أمامنا أوضح وتتراءى مسالك السبل أكثر سهولة أمام أبصارنا • اذا استطعنا أن نفهم فهما عميقا معنى التربية أولا • ومادة التربية وهي الطفل ثانيا •

التربية بمبدئها العام ، هي : اعداد الطفل للحياة أو هي الحياة بحد ذاتها • اعداد الطفل للحياة أو اعطاؤه الحياة أن نعده ليكون قادرا على العيش في هذا الخضم الهائل والموج الزاخر من أبناء جنسه ، يفهم عليهم ، ويفهمونه • اعداده ليخدم أمته ووطنه وهو مبدأ التربية القومية • والتربية القومية هي أساس تربيتنا الحالية ؛ لاننا ونحن نسير في طريقنا القومي الصحيح السليم يقتضينا أن نعد أجيال المستقبل اعدادا كافيا لتحمل المسئوليات والنهوض بالاعباء وهذا لا يتم الا بتضافر الجهود وايجاد الوسائل الكفيلة لتحقيق الآمال والوصول الى الاهداف •

أما عن مادة التربية وهي الطفل ، فهو مخلوق بريء ، فطري ، مادة خام ، لينة • وهذا الطفل مجموعة من الفعاليات والنشاط والحركة ؛ التي لا غنى عنها لنموه جسديا وعقليا ونفسيا • والطفل له رغائب : يريد الحرية ، يتعشقها ، يكره الحجر • يريد أن ينطلق في أجواء فسيحة ليصرف نشاطه ، ويحقق بالتالي نموه •

فاذا عرفنا كيف نستغل هذه الفعاليات وهذا النشاط ، مع عدم اهمال رغائبه ، استطعنا أن نحقق الهدف من التربية • وهذا لا يمكن أن يتم في المدرسة وحدها •

ولما كان الطفل يعيش بمجتمعات ثلاث كما أوضحنا سابقا ، يجب أن نعالج الطفل بهذه المجتمعات • الشارع له مشكلة ومشكلته الفراغ في حياة الطفل وعلاج الفراغ علاج لهذه المشكلة • وسنفرد للفراغ بحثا خاصا لان الفراغ من أصعب وأدق المشاكل التي تواجه عملنا التربوي للنتائج الخطيرة التي يؤدي اليها •

فيبقى لدينا في هذا البحث مشكلة الطفل في بيته وهذه المشكلة تحل بالاتصال بين البيت والمدرسة وبالعكس • وهذا الاتصال والتعاون محتم مفروض علينا لاسباب عديدة غير ما ذكرنا أسباب واضحة رأيناها في البيت ونراها كل يوم • هذه الاسباب نوجزها فيما يلي :

أولا ـ مما يؤسف له ، أنه لا يزال كثير من البيوتات عندنا عندما يرسلون أولادهم الى المدرسة فكأنهم أزاحوا عن كاهلهم كل العبء واثقلوا به كاهل المدرسة فهي المسؤولة أولا وآخرا •

خطأ الطفل في الشارع ، في البيت ، في المدرسة ، المدرسة مسئولة ، فهي أصبحت كل شيء في حياته • وهنا يرد الى ذهني القول الشعبي المأثور (لكم اللحم ولنا

العظم) ؛ مبدأأساسي عندهم ، ظنا منهم أن هذا الطفل من لحم وعظم فقط • وجهلوا أو تجاهلوا أن له روحا ، وله حقوقا وعليه واجبات في مستقبله تجاه أهله ووطنه وبلده وامتـه •

ثانيا ـ البيت لا يخلو من متناقضات ومشاكل تؤثر في نفسية الطفل : جهل البيت بأصول التربية أو اهمالها عن قصد أو غير قصد • ومن نتائجها : التأديب على طريقتنا الخاصة : يخطىء فيعاقبه البيت والمدرسـة تعالج خطـأه بطريقة أخرى ؛ ويمكن ما يعتبره البيت خطأ لا تعتبره المدرسة خطأ •

عندها يضطر الطفل أن يساير واقعين مختلفين فيصاب ما يسمى بازدواج الشخصية • أو بعبارة أفصح تتولـد عنده المراءاة والمداهنة وهنا الخطر الاكبر

ثالثا ـ هناك اضطرابات نفسية ، وصحية خفية ،تصيب الطفل يخفيها الاهل عن جهل أو خجل ؛ يظن معهـا أن الطفـل عسـر أو منحرف • فيعامل معاملة العسرين والمنحرفين ، مما يعيق عمل التربية • واخيرا ، وبعد ما علمنا الاسباب التي توجب علينا الاتصال والتعاون ،والنتائج المترتبة على اهمال هذا التعاون • أريد أن أرد على الذين يقولون أن هذا الاتصال صعب ، وطريقه مملوء بالشوك • أرد عليهم وأقول : أن الطريق أمامنا ممهد لوجود طينة طيبة وتربة حسنة بكر •

واستطيع ان أقول ما من أب أو أم الا ويريد وتريد ، ويحلم وتحلم ، أن يرى وترى ابنه وابنها ، وقد شـق طريقه الى المستقبل الزاهر • وأن يراه وتراه وقد لمـع اسمه ، وبرق وضاء في أجواء هذا الكون • وكما قلنـا وبينا لأسباب خارجة أو لجهل • يسلك وتسلك عكس الطريق في تربيته •

لنتخذ دستورنا الصبر أساس للعمل المثمر فالفشـل لأول مرة وثانيها وثالثها أمر لابد منه في أكثر الاحيان •

ونقول ونحن واثقون • هذا التجاوب يتم بايجاد الثقة• والثقة، توجد بتقديم النتائج الحسنة•وهذه النتائج نحصل عليها بوضع أساس للعمـل ، الصبر ركيزته والعلـم الصحيح رديفه •

وأختم بحثي هذا ، بايراد بعض الامثلة عن نتـائج الاتصال وما ادى اليها من نتائج وكانت لاول مرة(طبعا مع اعطاء بعض الثقة) دعي الى المدرسة الغسانية بدمشق أولياء الطلاب (واذكر الغسانية على سبيل المثال لا الحصر) •

لقد حضر ٨٠٪ من الذين وجهت اليهم بطاقات الدعوة واعتذر اكثر الباقين لمشاغل قصوى • أما عن نتائج الابحاث التي دارت فكانت في جو من الصراحة التامـة المتبادلة • البيت ، واقعة ، مشاكله الخاصة في بعض الاحيـان • مشاكل الطفل في البيت أعماله الخ ••• فكانت دليـلا واضحا على تفهمهم وتجاوبهم مع المدرسة بعد ما أفهموا وفهموا نتائج كـل عمل لابنائهم وتأثير هـذه النتائج في مستقبل أيامهم •

وهكذا نستطيع ان نسير الى الهدف بخطى ثابتـة وايمان راسخ بأننا واصلون •

حليم طيار

نشيد النور

حنا الطيار

أخرجي أخرجي الى النور يا نفس وقولي ان الظلام لـكفر
واغرفي من موائد النور فالنور سـماط لكنه بحر
هذه الشمس عينه ، وسماح وهي تنهل ، فالـكواكب تبر
خصلات تسللت وترامت يحمل الدر لونهـا فهي در
لمسـة الله في العوالـم نور يتساوى به هشيـم وزهر
لو تسنى له النفاذ تدلى في سحيق الظلام فالنتن طهر
والكنوز الكنوز صنع شعاع أبدع الطهو نضجها فهي سحر

* * *

أخرجي أخرجي الى النور طلقا هو يفتر دائمـا ويهـل
أخصب الكون بالعناق فألقى فوق جيد الحياة حليا تصل
ليس في جوده أذى ، ليس من عربي كحـاتم يسـتقل
كم تمنيت لو يغيب قليـلا لأرى في الوجود ماذا يحل
هـل تظلمين لا تبالين فيه أم تقولين عالم ... يضمحل
لو يباع الضياء لم أر شيئـا كان جنب الضيـاء الا يقل
ارقصي ارقصي مع النور يا نفس وقولي ان الظلام يضـل

الاصدقاء .. والثمن !

قصة جديدة بقلم

ياسين رفاعية

كنت أترنح وأنا منزلق من المنطقة الحرة نحو ساحة الامويين والساعة تتجاوز الثانية بعد منتصف الليل ، وكان بجانبي صديقاي : محمد وبكري ، وكنت أستند على بكري لما بي من ثمل كبير ، كانت عيناي هائمتين ، والطريق الوعر أمامي لا يبدو واضحا ، ويحلو لبكري أن يناديني باسمي الكامل : انك ثمل يامحمد كيلاني ، علينا أن نسرع الى البيت .. يخيل الي أنهم يريدون بنا شرا .

لم أستطع الاجابة ، كنت أشعر أن قدمي يابستان ثقيلتان ، وكانت الارض تبدوا لي كأنها لزاجة من طين أغوص فيه وأخلع قدمي خلعا .. كان علي أن أسرع لكنني كنت بطيئا للغاية ، فقد شربت من الشراب فوق طاقتي . وشعرت من جراء ذلك أن صدري يتخبط ويفور وان معدتي تنفجر . كان قلبي يخفق بشدة ، وكنت عطشا بحاجة لقطرة ماء .. ولكن الطريق خالية مقفرة موحشة فهي بعد شارع لم يكتمل ، لا يطرقه الناس لشدة الظلمة التي تحيطه .

قال بكري مرة ثانية : اسرع يامحمد كيلاني علينا أن نصل الشارع العام بسرعة ، كي نأخذ سيارة أجرة .

لفني الصمت .. وكانت الافكار المشوشة تنتابني .. وأنا أضيع في ذكريات الماضي .

وفجأة .. لمحت ستة أشباح تحيط بي احاطة السوار بالمعصم ، وصرخ واحد منهم ، أعرفه جيدا، كان صديقي الى أيام خلت .. صرخ قائلا : قف يامحمد كيلاني .. فالليلة نهايتك .

زال مفعول الخمر قليلا ، وأنا احاول أن أتجنب هؤلاء بسرعة ، كانت في أيدي بعضهم عصي خيزرانية وبيد الآخرين أمواس ذات نصلات حادة مرهفة .

أدركت أنهم جادون في ضربي . فصرخت على محمد وبكري ليحميا ظهري وكنت لا أخلو دائما من موس أضعها في جيبي الخلفية .. وبسرعة .. كانت الموس مفتوحة في يدي .

كنت أترقب أيديهم وحركاتهم .. وفجأة برزت في وجه الذي صرخ بي وأحسست أن الموس اصطدمت بوجهه الجامد . فصرخ بحدة : آه .. لقد ضربني .. فهاجمني الجميع بعصيهم بادىء ذي بدء .

وضعت عن الوجود ، كأنني سقطت في دوامة هائلة ، كنت أحاول أن اتفادى ضرباتهم التي انهالت علي ، وحاولت أن أبحث عن محمد وبكري خيفة من أن يكونا قد أصيبا فلم أعثر لهما على أثر .

كانت أشباح الذين يهاجمونني تبدو لي وهي تقفز في وجهي كالعفاريت .. وكنت أتخلص من ضرباتهم محاولا أن لا يصيبني أحد وكانت الساحة خالية من جدار أو شجرة أستطيع حماية ظهري بهما .

وبشكل مفاجىء، وأنا اتفادى ضربة تنهار أمام وجهي، شعرت أن شيئا حادا يغوص في ظهري ، والتفت الى

الخلف ويـدي تنساق أمـامي كالسهم لتصطدم بشيء طـري •

كانت الاشباح قد بدأت تضيـع أمامي • ولـم أعـد أستطيع التأكد من وجودهم •• وشعرت أن خدرا يدب في يدي •• ثم جسدي •• ولكنني كنت حذرا ، كانت يدي التي تعانق الموس تقفز أمام وجهي بشكل آلي الا أن الاشباح اختفت من حولي تماما •

صرخت مرة ثانية على محمد وبكري ، الا ان صوتي كان واهنا ضعيفا •• حاولت أن أتقـدم • أحسست أن قدمي ثقيلتان •• ثقيلتان••وان قواي لا تستطيع رفعهما• مرة ثانية ، حاولت • لكنني سقطت على ركبتي • ثم انهار وجهي على حجر كبير •• وحاولت أن أقف •• فشعرت أن عزيمتي قد خارت •• تماما ، وبعد جهد • استطعت الوقوف •

فمدت يدي نحو ظهري فاذا بها تصطدم بسيل مـن الدم الحار • وحاولت أن أتحسس الجرح فلم تصـل يدي اليه •

وازمعت أن أعود ادراجي الى المنطقة الحرة • ولكني كبوت مرة أخرى • ولمحت بعد قليل شبحين يسرعان نحوي ، فاذا بهما صديقي محمد وبـكري • سألتهمـا بصوت واهن : أيـن كانا •• ؟ فقـال أحدهما : ذهبنا لنستنجد •

أدركت أنهما كان يكذبان ، وانهما فرا من المعركة • ولم أستطع أن اجادلهما••كان علي أن أطلب مساعدتهما للذهاب الى المستشفى •• فاتـكأت عليهما حتى وصلت بالقرب من سيارة للاجرة •

كان الدم ما يازل يسيل من ظهري ولكن بشكل أخف وطأة • وكنت صامتا أفـكر •• فأنا عاديت هؤلاء لاجل بكري •• وكان بعضهم قد اعتدى عليه منذ اسبوع •• فضربت واحدا منهم وجرحته في يده • ومن عادتنا أن لا نشكو بعضنا ، كنا نتأثر بالبيئة التي نعيش معها •• اذ أن عادة البداوة مسيطرة علينا • نعتقد أن ثأرنا يجب أن نأخذه بأيدينا • فهي الطريقة الوحيدة ليحفظ كـل منا كرامته •

* * *

شعرت انني أصعد درج المستشفى ، ثم حوتني غرفة بيضاء ، لكن الممرض رفض تضميد جراحي مالم يطلب الشرطة لتكتب تقريرا بالحادث• فرفضت أن أقص عليه أسباب الجراح •• وخرجت من المستشفى مع صديقي فأخذنا سيارة أخرى •• كانت قواي قد انهكت تماما •• ولم أعد أعي بشكل جيد ما يجري حولي •• وانتبهت بعد لحظات ان السيارة تتجه نحو بيتهما فهما يسـكنان في حي واحد •• ولما وصلا نفحا السائق اجرته •• ولم أكن أملك قرشا فنزلت معهما •• ولما ابتعدت السيارة•• قـال أحدهما لا أذكـره : اذهب أنت الى البيت •• ان الجرح ليس خطيرا •• فاطلب مـن أمـك أن تضمده وارتح في الفراش ••

ثم ••• ثم تخليا عني •

تألمت جدا من تصرفهما، كان الدم قد بدأ سيله يخف أكثر بعد أن وضعت فوقه منديلي وضغطت بقميصي من الامام على الجرح •• واسرعت الى البيت الذي يبتعـد مسافة كبيرة عن المكان الذي نزلت فيه •

كان مفعول الخمر قد ازل من رأسي تماما ، وشعرت بقوة تدب في جسدي ، وأنا ذو صحة ممتلئة • وهذا ما دعاني الى الاستمرار ، ولـما وصلت البيت ، تسللت الى الغرفة وأنا مرهق وارتميت على صدري فوق السرير •

* * *

لم ادر كم مر علي من الوقت ، كانت أفـكار رأسي تقتلع من ظهري الالـم وادركت أن الصديقين قـد فرا خشية ان يصابا •• وتركاني وحـدي دون أن يحاول أحدهما انقاذي من تلك الحادثة التي وقعت فيها بسببهما•

وكان من عادة أبي أن يستفقدني كلما صحا ليصلي

الفجر • وأحسست أنه دخل غرفتي•ويبدو أنه فوجيء بمــا وصلت اليهــا حالتي ، فهزني صارخا : محمد •• محمد •• ما بك ؟

رفعت رأسي جاهدا ، حتى لا يصيبه الفزع ، وقلت له : صباح •• الخير •• أبي••ليس بي شيء • وكانت تبدو على وجهي آثار المعركة ، لاحظت ذلك من الوسادة التي اصطبغت بعض جوانبها بالدم •

وفزع فعلا ، وعقدت لسانه المفاجأة •• وأشاح بوجهه عني •• بعد أن لمحت الدمع يترقرق في عينيه•• ثم راح يصــرخ عــلى أمي : أم محمد •• أم محمد •• تعالي انظري ما بابنك •

حاولت أن أمنع أبي أن ينادي عليها •• ان قلبهــا ضعيف •• وهي ستتألم كثيرا •• فأنا ابنهما الوحيد •• وليس لي من أخوة صبية أو بنات •

دخلت أمي علينا ، ووجهها ينطق بالفزع والألم •• وما أن شاهدتني على هذه الحالة حتى صرخت بصوت رهيب هز البيت هــزا ، وراحت تولول كأنها وجدتني ميتا •• ثم سقطت شبه مغمى عليها •

وأردت أن أزيل ذلك الخاطر الاسود الذي تخيلتــه، فحاولت الوقوف لأشعر أبوي ان مابي ليس خطرا ، وبعد جهد وقفت ، وتقدمت من أمي وحملتهــا الى الطرف الآخر من السرير •• وصرت أقول لها بشكل مســتمر انني بخير يا أمي •• انني بخير •• قومي ونظفي الجرح ببعض المعقمات •• انه •• جرح صغير •

وكانت هذه الكلمات قد بعثت فيها القوة فوقفت ملقية الامر على أبي: اسرع •• آتني ببعض القطن والمعقم •• ثم تقدمت مني وراحت تنزع عني ملابسي بيدين مرتجفتين ، ثم طلبت أن استلقي على صدري ، وكان أبي قد أتى بما طلبت ، وراحت تعمل في جد ونشاط وهي تقول بين الفينة والفينة سأرقص تحت مشنقتهم اذا حدث لك شيء •• سأقتلع عيونهم •• سأقطع أيديهم •

وكنت أقول لها : انك لن تفعلي شيئا لأنه لن يحدث لي مكروه •

وفيما بيني وبين نفسي ، كنت أغربل اصدقائي الواحد تلو الاخر ، ومن خلال ألمي ادركت ان كل ما أصابني في الماضي والان ، كان السبب فيه هم اصدقائي •• كنت لا أحب أن أرى أحدهم يهان •• وكنت اتحمل بسببهم كثيرا من المشاكل •• ولم يأتني منهم شيء •• فها هو محمد •• وهذا بكري •• انهما اعز اصدقائي ••ولكنهما تخليا عني في اللحظة التي كنت فيها معرضا للقتل بسببهما •• ولو لم أكن حذرا محتاطا لمثل تلك الامور •• لكنت الآن منتهيا •

حتى اولئك الذين حاولوا قتلي ، فقد كانوا اصدقائي، وكانت اسباب خلافنا بشكل دائم لا تنجم الا حول مائــدة شراب •

وقررت منذ تلك اللحظة ان اهجر حياة الفوضى والاستهتار والدفاع عمن يسمون أنفســهم اصدقاء •• وأبدأ حياتي من جديد •• انني انسان صقلته التجارب وعلمته الاحداث ان لا يؤمن لاحد •

كان صباح اليوم التالي قد أطل على الكون يغمره بضياء آخاذ وكان دمي الحار قد انسكب على أرض الغرفــة والفراش •• ثم انقطع بعد أن قامت أمي حياله بحرب ضارية استطاعت ان تنتصر عليه •

خرجت من البيت قاصدا مستشفى خاصا برفقة والدي ومن هناك كان لي صديق قديم زاملته في الدراســة ، فاستطاع يضمد لي جرحي وطلب مني أن استريح ولا أزعج نفسي •

شعرت بالراحة بعض الشيء ولما عــدت الى البيت ، تطلعت الى المرآة ، فوجدت وجهي قــد تشوه من جراء الجروح الصغيرة التي اجتاحته • واقنعت نفســي انني انسان جديد ، وان الماضي ماهو الا أيام عفنه يجب أن أزيلها من حياتي •

اذ ذاك القيت بجسدي الى السرير لأنام نوما عميقــا هادئا •• فلقد دفعت في سبيل اصدقائي سيلا من الــدم الحــار •

دمشق ــ ياسين رفاعية
من جمعية الادباء العرب



الى عـــــاشق الورد..

ترفـــق بي . . ففي قلـــي   ينوّرُ حبــك الناضـــرْ
ترفـــق بي . . ولا تجرح   ابائي بالهـــوى الغـــادر
فوجدي كالشذا صـــاف   وشوقي كالندى طـاهر
ولحـــني أجمـــل الالحان فـــــــــي   قيثارك الشاعر . . !

• • •

احقـاً مـا يشيع الليل أنــــــــــك عـــاشق الورد . . . !
تقطِفـَـهُ لكي تلهـــو   وتنســـاه . . على عهـــد
وتشدو الشعر في (ليـــلى)   لترويـــه الى (هنـــد)
أحقـــاً مـــا يقـــول الليـــــــــل إنك عاشق الورد . . !

• • •

دروب الحـــب جنـــات   واشهـــاهـــا انـــا دربـــي
سأروي قلبك الظمآن ــ ان اخلصتَ ــ مـــن قلبـــي
ترفـــق بي . . ولا تعتب   اذا مـــا خفت . في حبي
ولا كـــانت ليـــاليـنـــا   اذا أطفـــأت لـــي شهبي

هيام نويلاتي

ـ نشيد ـ

شعر ..

ياسين فاعور

باسم العروبة أمتي باسم الكفاح وبالنضال
باسم الملايين الأباة الرابضين عـلى الجبال
باسم السليبة أرضنا باسم السهول وبالرمال
باسم الاباء العربي وقائدي الملهم جمـــال

* * *

قد لاح فجر عروبتي الوضاء من أرض القتال
نبني البروج الشامخات بأرضنا كالسد عال
ونوحد الوطن الـكبير وان تطاولت الليالي
ونوحد الوطن الكبير وان تطاولت الليالي

* * *

وندك صرح الظالمين الحمر أنصار المحـــال
باسم الجزائر دوحتي أو باسم بغداد الكئيبة
باسم الخليج وبالمحيط وجنتي الحلوة السليبة
لي في عمـــان وفي الأوراس جولات رهيبة

* * *

سنوحد الوطن الكبير براية العرب الحبيبة
سر يا جمال الى العلا سنعيد حطين القريبة
سننشيد مجد العرب وضاء على أرضي الخصيبة
ونعيـد تموز العروبة يا جمال الى العروبة

ياسين فاعور

الرسالة الاخيرة

شعر : موسى صرداوي

صديقتي
أوجاع قلبي يا صديقتي شراع
شراع هم ، بين أمواج الحياة
في بحر هذه الحياة •

* * *

لكنما
أنا الذي اعيش في ظلام
أعيش في دوامة من السقام
لن أعرف القناعة التي تحد
لن أعرف الوقوف •• إنني
لن انتهي الى قرار

* * *

مذ كنت طفلا يا صديقتي
ممددا في مهدي المهلهل الحقير
التهم الثدي المكور الفقير
مذ كنت طفلا لا أعي
سوى الصراخ والألم
والبؤس والدمع المرير
حتى كبرت يا صديقتي
حتى قطعت هذه العشرين عام
لم أدرك النعم ، والنعيم يلتقي
مع الغني ، لا الفقير
لم اغترف من الهناء غير غرفة
أدركت منها أنني صغير
لا زلت في بداية الطريق
بداية الحكاية التي يروون —
أنها الحياة •
وأنه علي أن أسير
وأن أسير
وأن اسوي من محبتي جناح
ومن كفاحي المرير كي أمزق الخنا جناح
وأن أطير •

* * *

صديقتي
لا بد يا صديقتي
من مورد الألم
ونحن ها هنا
لا بد أن نموت كي نعيش
لا بد أن نكور السدم
ونخرق الفضاء
وننتهي
ونبتدي
من أول المسير •

* * *

صديقتي
وعندما يظلل المساء جبهتي
ويفرق النهار
في ليل قاع ليلتي
وتسكن الغيوم • ألف موجة
في قلب قلبي زارع النيران والسعار
لن انتهي الى قرار

موسى صرداوي

اغنيات شاحبة

شعر : اسماعيل عامود

جديلة ..

لم أنت كثيرة التمرد ..
أيتها الجديلة الفاحمة ،
وقد لفك الليل بذؤابات الغابة الحالمة ..
في الوقت الذي تموت في حلقي
كل الاناشيد رقة
وكل التنهدات حرارة وكآبة ..!!

خليـــج ..

في عينيك خليج من ليل أسطوري هارب ..
وعلى شفتيك ضفة نهر العقيق ،
وعند شرفتك السمراء
مرفأ شراعي الذاهب صوب المجهول ..
فمتى تهب رياحك الشتائية أيها الخليج الحالم ..
متى يقلع شراعي من ضفاف الفردوس ..
حتى اذا ما مرت بحبيبتي ،
وكان الليل ينتظر في الحانة العذراء ..
بكيت أكثر من دموع الامطار
المنهمرة في كانون ..!!

معنـى ..

لم يعد للربيع معنى في قلبي ..
فكل زهرات البيلسان وأضاميم الجوري الحائر
سرقتها يد آلهة غريبة .!!
والساقية ذات الماء العذب
خبأتها في صدرها فتاة سمراء
مجهولة كعينيها .!

وبقيت وحدي ، لا تظللني من الربيع
سوى هذه الخفقة التائهة من قلبي ..

حيـــاة ..

في عربة أفكاري يموت ملك ،
وبكفه الرمح الذهبي
يطعن به صدر الفجر المائت
على أبواب الواحة في الصحراء الكبيرة
التي اسمها « الحياة »

عالـــم ..

مزق أيها الرعد
كل ستار مهلل ..
واغرز في جبهة الشعر صومعتك الشاهقة ،
كي أرى العالم ، ذلك الوكر المحدب
ينام في الظهيرة ..
قبل بلوغ نهاية المساء .!!

ألــم ..

اكثر الناس ألما ..
أكثرهم احساسا بالحياة ..
فيا أيها الألم المبدع
ذوب في قلبي آهاتك الكثيرة ،
وخذ من مزرعتي الكئيبة العاشقة
أنقى الازهار منظرا ..
واروعها فتنة
علني أسمو بمشاعري على الآخرين

دمشق ـ اسماعيل عامود

قمر من خمر وزنبق

بقلم : الياس الفاضل

خذوها هذه الشمس السوداء
التي تنشر الليل والزفت والغبار
خذوها هذه الحمامة السابحة في الزرقة البعيدة
سأقتل الخطيئة
الخطيئة التي رفعت بيني وبينك يا بعيده
جبلا من الوهم والحجارة ..
سأقتلها بسكين أو بقصيدة
اكتبها ، وأنا ابيع احزاني للنهر
ذلك الذي يلف خصر المدينة
بزنار من الذهب واللبان والمر ..
أو اكتبها في الحانة الصغيرة البليدة
التي تعطي الدموع والغيم والفل
وتمد وطنا من النجوم والنهود المتوحشة
لهذا الوطن الطيب الطعم
لهذا الشاطىء الاخضر الطويل
امنح شراييني وضياء عيني
واقدم رئتي ودمي ...

* * *

نجوم بيضاء تمضي
وأنا باق على رصيف الميناء البارد
انتظر قدوم المركب الغائب في سفرة طويلة ..
محملا باخبار السنديان والصنوبر
شهران كاملان ، يا حقودة
وأنا اسبح في بحيرات الشوك والضجر
دربي ممدودة الى ليالي التشرد
المليئة بأنين السل والرياح
وقلبي مثل مقهى ملفوف بالخريف على شاطىء البحر .
قولي لها .. أيتها الغيمة البيضاء
قولي لها .. يا أميرة وثنية عذبة
طويلة هي أيام القلق والانتظار
ومملة هي ليالي البكاء والحرمان ..
آه .. أيها الالم ..
نحن جبلناك من احلامنا
نحن زرعناك في اعماقنا
نحن رفعناك على اكتافنا
أنت ، يا خمرا من زنبق وخمر وتراب ..

* * *

يا مسافرة
لك عندي جرسان ذهبيان
اذا لم يقرعا في اعماقك
وفي صدري عصفوران أزرقان
اذا لم يبنيا عشهما في ربوعك
سأقطع أوتار قيثاري
واطعم حنجرتي للسرطان وظلمة القبور

* * *

دنيا الاحلام

شعر : جميل حسن

في بسمة للصمت .. حالية نعماي ، لابالموعد الخضل
أرتاح للجفن الكسير .. ففي ثقل الجفون بلاغة الغزل
وتوافق القلبين في دعة هو في فؤادي روعة المثل
يقسو الحبيب ، ووحي قسوته دنيا من الاحلام .. والأمل
اني لأقرأ فوق حاجبه آيا للغز فيه مفتعل ..
اشراقة في خاطري .. ودمي أشهى من الضمات والقبل
ألتذ اذ يقسو .. وأفهمه مهما تعلل بعد بالعلل
مهما تكلف .. أو بدا بطلا متشبثا بمظاهر البطل
علمت عند عبوسه حيلا أشتف منها أغرب الحيل
في صمته .. في غنج وقفته وحي لعفو منه ، متصل
خط الهوى في وجهه سورا مكتوبة بغرامنا الأزلي
في الساعد البض الذي علقت كفي به .. فاحمر من خجل
عفوا لمست ذراعه بيدي فارتج ، فعل الخائف .. الوجل
وبدا بلقيانا على عجل فكأنه في ملتقى السبل
نوع من الاغراء .. أعرفه لكنه صعب على الرجل
والليل عالقة كواكبه بمشابك .. كالنور في المقل ..
بالامس ، بين خيوط والتي والبدر يصعد أرفع القلل
برزت مفاتنه .. وبهجته في ناضر بالنور مشتعل
تاج الطبيعة فوق مفرقه من فوق تاج رائع الخصل

واليوم • هذا الصبح • كان لنا   سران عند الجدول الثمل
سر دفعناه •• برغبتنا   نحو الغدير ، فذاب في مهل
وتوزعت نظراتنا بددا   وتجمعت في قمة الجبل
ومع النسيم سرى •• وودعنا   سر يحير منطق الرسل
هل كان يفهم رسلنا صورا   عفوا ، تجيء برائع الحلل ؟!
سران سجلناهما أملا   أكرم بنجوى الحب من أمل
طال الوقوف • وطال في خجل   خجل المحب براءة الحمل ••
وجلتي ما بيننا •• فتحت   فتحا قليلا غير مكتمل ••
ولقد قرأت ـ وكان يتبعني ـ   في وجهه •• والأعين النجل ••
مستقبلا أزهى من الحلم   تخلو الحياة به من الملل
لم نطو صفحة قصة كتبت   هذا الصباح برائع الجمل
ذهبية التسطير •• أحرفها   وعد العطاء وموسم الأجل
ولقد طوينا •• من مجلتنا ••   مالم نمر به على طلل ••
متصفحين بدون ما نظر   حتى لعنواناتها الاول •
في ساعة الحب التي جمعت   قلبين في قلب ولم تطل
أملت شفاه ما انفتحن ، وما   حركته ، فيها ، أبدع المثل
قال الفم الخجلان •• في خفر   شيئا كثيرا ، حيث لم يقل
واستعذب القلب المحب بها   ما طار بالنجوى الى زحل
نعمى حياة بت ألمحها   مجلوة •• كالشمس في الطفل
لي يا اله الحب تمتمة   الا تفي فصلاة مبتهل
زلفى يزف الشعر زهوتها   حسبان عهد خالد العمل
يا ليتني أحيا الى غدنا   لأذيب من أهواه في قبلي

قدموس ـ برمانة المشايخ جميل حسن

خطيئة ام

بقلم : الياس طعمة

.. واخيرا تقدمت من وحيدتها التي جلست ساهمة شاردة معلقة بصرها في الأفق البعيد كانما تسترجع ذكرى من خلال ماض غبر وعهد سلف .. ووضعت يدها على كتف ابنتها وقالت بصوت يتفجر رقة وحناناً :

ـ بنيتي ..

والتفتت اليها ابنتها بطرف دامع كسير ووجه اعتلته مسحة من الحزن والاكتئاب ، فبدا كالزهرة التي انقطع عنها الرواء فسرى في نضرتها الذبول وفي أوراقها النحول..وظلت لحظة دون أن تهمس شفتاها بكلمة أو تطرف عينها بنظرة .. ثم سحبت نظرتها في هدوء وادارت رأسها في سكون واستسلمت لخواطر تعبث في رأسها بقسوة وعنف وأفكار تلهب نفسها بسياط من نار فلا تقابلها بغير ذل وضعف وانكسار ..

فقالت الام وهي تعبث باصابعها في شعر ابنتها الناعم المسترسل :

ـ ليلى .. ما بك .. ؟

ورفعت رأسها ثانية في جهد واعياء شديد كانما تعاني ألماً ممضاً أو تكابد شقاء الدنيا واعباءها وألقت نظرةطويلة حولها ثم استردتها في برود وانتصبت واقفة تتمتمبكلمات لم تبلغ اذنيها .. وحاولت أن تخطو ولكنها لم تستطع فقد دب في جسمها الخور والضعف واعترى أعضاءها الوهن والانحلال وادرك عينيها الذبول ـ فأطبقت جفنيها وأرخت رأسها على صدرها وعضت بأسنانها على شفتيها كمن باغتته ذكرى مؤلمة أو داهمته اشباح مخيفة ..

واعترى الام رجفة اهتزلها كيانها وأحست كأن خيوط الدمع المنسابة من محاجر ابنتها حبال قاسية غليظة تضيق أنفاسها ، فشهقت شهقة قوية كتلك الشهقة الاخيرة التي تحشرج في صدر المحكوم عليه وقد التف حول عنقه حبل الاعدام ..

فقالت بصوت منكسر حزين :

ـ بنيتي .. أنا الملاذ الوحيد لك وأنا التي تأخذ بيدك في الشدائد والملمات وتعينك على تحمل الصعوبات والمشاق فحدثيني عما يعتمل في ضميرك الحي ويعتلج في قلبك الحساس . انفضي همومك واقلعي عنك احزانك ولتنصهر نفسينا معا في بوتقة الاحزان ان لم يكن بد من الاحزان.

الى متى تبقين هكذا ..؟ الايام تمر والليالي تكر وانت لا تعرفين للنوم طعما .

ألا تشعرين بذلك أم أنك فقدت الوعي والاحساس وأصبحت تعيشين في غيبوبة كانها العدم ..

وانتظرت الجواب .. بيد انها كعادتها لم تفز بجواب غير صمت مطبق وشرود طويل فلم تملك الا أن رفعت رأسها الى السماء وبسطت يديها الى الله وقالت :

ـ اشفق يارب على القلوب التي لم تتفتح أكمامها الا تحت أكداس الثلوج والجليد ولا داعبتها نسيمات السحر وانعشتها قطرات الندى بل عصفت بها الاعاصير والانواء ..

وخرجت تاركة ابنتها في سكون شامل وسهوم دائم وجلست في غرفتها تحدث نفسها :

ـ ترى ما السر الذي تنطوي عليه نفس ليلى .. ؟ وما هذا الاكتئاب والشرود الذي يعتريها ويتركها جامدة كالصنم ساهمة كتمثال يرنو بعينيه الى شيء بعيد مجهول ..

ما سر هذا الحادث الطارىء الذي بدل كل شيء..؟ فالقلب الذي كان يخفق بالحب والحياة ويزخر بالامال والاحلام أصبح يترنح بين الضلوع ترنح المجهد التعبان ويتلوى بين الحنايا تلوي الشارب السكران والنفس التي

كانت تشع فتنة وجمالا اكتنفتها على حين غرة ظلمة دامسة فبددت فتنتها وشوهت جمالها والجسم البض الممتلىء الذي كان يرقص على نغمات الموسيقى ويتمايل في أرجاء البيت تمايل الغصن الريان مع – هفهفات النسيم أصبح ضامرا نحيلا تماما كالعود عندما تعصف به ريح الخريف .

كل شيء قد تبدل .. عيون ذابلة واجفان متكسرة ووجه حزين كأن يد المرض قد مسحت عليه منذ شهور ما بال هذه الشفاه لا تفتر وقد كانت الابتسامة لا تفارقها..؟ وما بال هذا الصول قد انقطع وقد كان يملأ البيت انغاما حلوة وأغاني عذبة ..؟

لكم سألتها والحت في السؤال ولكنها لم تحظ بجواب. ووجدت نفسها فجأة تسترجع أيامها الخوالي وزمانها الغابر ..

كانت في طفولتها فتاة لاهية طروبا لايهمها من دنياها غير اللهو والعبث والمرح ولا ترى في تيه حياتها غير السعادة والنعيم والفرح .. تمر دون أن تحس بمرورها وتتعاقب الليالي عليها دون أن تشعر بكرها وكيف تحس بكر الايام ومر الليالي وهي لا تحس حتى بنفسها ،وكيف تحس بنفسها والجو المملوء بالصخب والضجيج والضوضاء الذي يخلقه حولها الفتيات والفتيان يقطع عليها خلوتها ويبدد تأملاتها فلا تشعر بحوادث يومها ولا تحس بوجود نفسها حتى يأتي المساء فيأخذها النعاس وتغرق في لجة النوم .

ومرت الايام .. واصبحت فتاة كاملة النضوج متدفقة الانوثة بارعة الجمال ممشوقة القوام تتغامز عليها العيون وتشير اليها الاصابع تأخذ بمجامج القلوب وتستهوي النفوس وتستأثر بالعواطف والافئدة ..

وارتاحت نفسها لتلك الصورة الجميلة.. يوم كانت تتهامس عليها النفوس وتبتسم لها الشفاه .. وكانت تشعر بجمالها وتحس بالتهافت عليه فتصونه خلف نقاب من التكبر والافتخار وتقيه من الغمزات وتحميه من الهمسات بعقل واع وعين بصيرة .. وزاد ايمانها بجمالها وصونها لهذا الجمال بكثرة المعجبين بها المتهافتين عليها الى أن قيض لها الله أن تكون راعية بيت ورفيقة رجل .. وانغمست للحظات بذكرى السعادة الغابرة والايام الماضية التي كانت باسمة ضاحكة زاهرة باسباب البهجة والهناء وألوان المحبة والصفاء .. وسرعان ما انحدرت الدموع من عينيها الصافيتين عندما طغت على مخيلتها تلك الصورة المؤلمة .. صورة زوجها الراحل المسكين يوم ودع الدنيا الى غير لقاء .. وبقيت في هذه الحياة مع ابنة في ربيعها الخامس عشر نموذجا خالصا للبؤس والشقاء .. بؤس النفس وشقاء الروح ، ومثالا حيا للكبت والحرمان .. تعاني وحدة قاسية موحشة وتكابد حرقات ولذعات في جسدها تكاد لا تترك فيه غير الندوب والقروح ..

توفر لها المال ولكن المال لا يوفر السعادة المثلى والنعيم الكامل .. يعذبها ظمأ روحي وتقتلها مجاعة قلبية .. الظمأ الى الحب الذي حرمت منه والمجاعة الى الجسد الذي كان يروي غرائزها ويشبع نهمها .. وقاومت هذه النزعات التي استفاقت بنفسها واستبدت في جسدها ، فحرمتها لذة الكرى وحلاوة العيش .. قاومت بكل قوة وتسلحت بكل سلاح .. تسلحت بابنتها العزيزة التي تود أن تنشأ تحت حنان عرض نقي ورأفة شرف مصان .. تسلحت بمزايا زوجها الفاضلة وشمائله الكريمة ، وأضفت على نفسها قوة من الصبر والتجلد والاحتمال حتى تقدر على كبت هذه الثورات المعتلجة في جسدها واطفاء هذه الحرارة الملتهبة بين اضلاعها .. قاومت حتى وهنت قوتها وتداعى عزمها فسقطت في الهاوية وزلت قدمها في بئر الفساد واعشاش المنكر والرذيلة واندفعت تعب من كأس الخطيئة وتنعم في الملذات المحرمة ..

وقفزت من جلستها ووقفت أمام المرآة تتأمل في قسمات وجهها الفاتن وتقاطيع جسدها الصارخ واصلحت من شأنها وانطلقت في الطريق ..

* * *

واسلمته شفتيها بعد طول غياب واتكأت عليه خوف السقوط على الارض من جراء الانفعالات التي تضطرب

في جسدها وتنعكس على مرآة نفسها ٠٠ وغابت معه في قبلة طويلة في دنيا الاحلام ٠٠ دنيا بعيدة كل البعد عن دنيانا غريبة بكل معنى الغرابة لا يشعر بها الانسان الا حينما يعود الى دنيا الواقع ٠٠ وعندها نسيت الألم الذي تكابده ابنتها ونسيت العذاب الذي تتمرغ به شاردة ساهمة الى حيث يعلم الله وانكفأت تعيد القبلات بلذة لاتحد ولا توصف ٠

وتركها سمير وخرج الى السوق ليعود بما يضاعف اللذة من سكر وعربدة ومجون ٠٠ واستسلمت هي لافكارها الى أن قطع حبل تفكيرها جرس الباب فنهضت وفي نفسها الوساوس والظنون وقلبها اشد ما يكون في الخفقان وتلاشى كل شيء كما يتلاشى الضباب تحت بريق الشمس عندما لمحت موزع البريد فسلمها رسالة باسم سمير ومضى ٠٠ ولم تكن في حاجة لأن تناقش نفسها عن موضوع الرسالة بل سرعان ما فضتها وراحت تقرأ :

عزيزي سمير ٠٠

اني أرى هذا اليوم هو آخر أيامي وهذه الساعة التي أخط فيها هذه السطور هي آخر ساعاتي فآثرت أن أنقل اليك جانبا من حياتي القلقة المضطربة أنت خلقته ولكنك تجهله وأروي لك نتفا من قصة حياتي أنت كتبتها ولكنك تعاميت عنها وأردت لها الفناء والعدم ٠٠

احببتك ٠٠ فغدرت بي وفررت وملأت نفسي جراحا وهربت وغرزت في القلب نصلا ـ قد جفته يد البرء والشفاء ـ واختفيت ٠٠

فلماذا ٠٠؟ لماذا تواريت عني يا سمير ولم تترك غير لوعات في القلب وحرقات في الصدر ٠٠ لماذا اختفيت عن مسرح حياتي الذي كان زاهرا بحبك مزدهرا بقربك فاصبح اليوم قفرا يبابا لا تسمع فيه غير نعيب البوم والغربان ٠٠

لماذا ٠٠؟

علامة استفهام كبيرة ترتسم على الجدار ان تطلعت اليه وتتمثل على خط الافق ان رنوت اليه وتتلج في نفسي أن تأملت فيها وتضطرم في عقلي عندما لاتجد الجواب كألسنة اللهب تأكل بعضها عندما لا تجد متنفسا ولامخرجا

عزيزي ٠٠ اني أحب أن أعيش في ماضي لا حاضري ـ وشتان بين الماضي والحاضر ـ فدعني أعد الى تلك الايام فاني أجد في العودة الى الماضي لذة وفي استعادة الذكرى متعة :

عرفتك استاذا ٠٠

وكنت يا حضرة الاستاذ عندما تأخذك حدة الغضب وتجتاحك موجة من الحنق ترسل نظراتك علينا نحن الطالبات شواظا تريد ان تحرقنا بها كثيرا ما شكوت من ضعفي في بعض الدروس واعلنت لي انني بحاجة الى دروس اضافية والا افلتت الفرصة وضاع النجاح في عباب الكسل ٠٠ وكتمت ضعفي وكسلي في بادىء الامر عن أمي ٠٠ الى أن كان يوم اخبرتها بالحقيقة واطلعتها على جلية الامر ولكنها أبت وتمنعت وما زلت الح عليها أياما متواصلة حتى قنعت وازعنت ٠٠ وطرت اليك في فرحة بالغة وطرقت باب مكتبك بيد مرتجفة وقلب خافق وصدر يعلو ويهبط كأنه أمواج بحر عصفت بها الانواء ٠٠ وتلقيتني بالترحيب والتأهيل ووجهك ضاحك القسمات مشرق البسمات ، فطار خوفي وزال اضطرابي وشعرت انني أمام رجل ـ أي رجل ـ لا استاذ ترتعد الطالبة رعبا من صيحته وترتجف خوفا من نظرته ٠٠ وأتيت الى بيتنا ، ولا تسل عن الرغبة التي امتلكتني والحيوية والنشاط الذي تدفق في جسدي ، ورحت اقفز وأعدو أمامك حتى اشيع في نفسك الغبطة والمرح كما تقفز اللاعبة الماهرة في ساحة اللعب لكي تظفر بنظرات الرضا والاعجاب ٠

وانتهى الدرس الاول ٠٠ وكان نصيبك من تفكيري المتواصل وتأملي العميق ونظراتي المتسائلة اكثر مما للكتاب فيها نصيب ٠٠ كان لي من صفحة وجهك الهادئة وجبينك اللامع الألاق درس اعياني حفظه واتعبني التأمل والتفكير فيه ٠٠ وكان لي في عينيك الساحرتين سر عميق اجهدني استجلاؤه وكشف الستار عنه ٠٠ وكان الدرس لا ينتهي والسر لا تنحسر عنه معالم الغيب ٠٠ وكنا نتبادل النظرات تعقبها البسمات واذا كل منا مشغول بنفسه قد

دهمته موجة من التفكير واستبدت به غاشية من الخواطر وانتهى الدرس الثاني بقبلات اتبعتها قبلات ..

وكرت أيام .. لا هي أيام بالمعنى الكامل كالايام التي عشناها قبلا ونعيشها اليوم والغد ، بل هي ساعات كانت تكتنفها السعادة من كل جانب وتسري بها موجات من الاماني الحلوة والآمال العذاب .. ساعات تقضت ولكنها لا تزال حية في قلب الزمن مرآها لا يزول وذكراها لا تموت ، تطل علي بين الحين والحين فتشيع في نفسي الغبطة والانشراح وتحيي في قلبي جمرة أمل تكاد تخبو ويدركها الفناء .. وانقطعت عني وكنت أحسب لكل شيء حسابا الا غيابك عن دنياي واختفاءك عن مسرح حياتي .. الفصل صيف والمدرسة مغلقة الابواب .. فأين أراك ..؟ لم أترك شارعا ولا حيا الا وبحثت فيه ولا منتدى الا وطرقت بابه ، وكنت أسير في الشارع وعيناي تنتقلان من وجه الى وجه وتعبران من رصيف الى رصيف ولكن عبثا كنت أبحث وباطلا ذلك الامل الذي كنت أعدو وراء سرابه .. فما رأيت لك وجها ولا لمحت لك أثرا .. ورحت أفكر .. فعللت انقطاعك عني بألف تعليل وخلقت له الف عذر وسبب ولكني لم انته الى نتيجة تبرد حرقتي وتهدىء ثورة عواطفي ..

وبقي سبب واحد كنت لا اريد أن أبوح به ولكنه يعذبني يا سمير ويمنع طيف الكرى ان يلامس جفني .. عندما اتمثله أحس بنفسي تذوب وتتلاشى كما تذوب قطعة الثلج تحت حرارة الشمس .. رأيت الخدم ذات يوم يتهامسون بسر فارهفت السمع وعلمت انه كان بينك وبين أمي علاقة أثيمة فانقطعت عن الدار خوفا من أن تلوكنا الالسن وتتشدق بنا الافواه ..

أيمكن أن يحدث هذا يا سمير ..؟ أصحيح ما يتهامس به الخدم أم أنه لغو في لغو وهراء في هراء .. غير انني أدرك بغريزتي الانثوية انها لم تكن غير امرأة تلك التي شغلتك عني وحجبتك عن دنياي والقت بيني وبينك حجابا كثيفا من الضباب والظلام لا يبلغ الواحد منا رفيقه الا وقد اجهده التعب واضناه المسير وانهكه الاعياء فلا يجد في صاحبه غير آخر نبضة في القلب وآخر نسمة في الروح ..

فان كانت تلك المرأة من بائعات الجسد فاشبع نهمها وأرو غريزتها ، أما أنا فلا تترك لي الا حطام قلب كسير أرممه وأعيده الى الحياة من جديد . وان كانت من بائعات القلوب فاملأ قلبك بحبها على شرط أن تترك لي زاوية صغيرة يقطن بها حبي وتستميت في الدفاع عنها الجوارح والانفاس ضد الداخلين المحتلين ..

اتعاهدني على هذا يا سمير ..؟

آه لو أعرف تلك المرأة .. المرأة التي حطمت آمالي وبددت أماني واسلمتني للجوى والشجون ووضعتني بين مخالب الاسى والمنون ، لكنت مزقتها أربا أربا وهرقت دمها الملوث بجراثيم العار واوساخ الكرامة المهدرة والشرف المهان .. دمها الاسود الفاسد الذي التهب بين خلايا جسدها فقضى على قلبي الذي اصبح ينبض نبضات تنبىء عن الموت العاجل والفناء القريب ، ولطخ نفسي فبدت سوداء قاتمة كعتمة الليل البهيم ، وقد كانت بالامس .. الامس القريب .. ضحكة في قلب الزمن وبسمة على شفاه الازهار ..

ألا ليت الشفقة تخلق مع القلب قبلما يخلق الحب ، وتنمو في الجوانح قبلما تنبت زهرات الهوى وبراعم الغرام ..

آه لو تدري مدى ما خلفت في كبدي من قروح وما أثرت في نفسي من هموم واشجان .

وانتهت الرسالة لتسقط القارئة في غيبوبة مرعبة أشبه بغيبوبة الموت عندما وقع نظرها على الامضاء .. وسرعان ما استفاقت فخطت بضعة سطور وانطلقت لا تلوي على شيء ..

وعاد سمير ليجد الدار خالية الا من بضعة وريقات منثورة على الارض وورقة أخرى على الطاولة ، فقرأ فيها هذه السطور :

أيحق لك يا سمير ان تتمتع بجسد الأم وقلب الابنة..؟ حرام عليك ..

البقية على صفحة « ٥٦ »

« حنين » ...

شعر : محي الدين الجردي

أرخى الليل على قلبي خيوطه العنكبوتية السوداء ..
ليقتل فراشات الضياء التي كانت تتطاير يوما في سمائه
وأجراس الشمس المذهبة
قد اختنقت أصواتها الى الابد ..
ولم يبزغ بعدها قمر ما ..
اني أعيش بدون أمنيات ..
لان الاغاني التي كانت تنبعث من أعماقي
قد لفها الموت بأكفانه الرمادية ..
وحكايا الحب والابتسامات
ذابت حروفها في الصقيع ..

* * *

ان قلبي ياحبيبه ! ..
كهف أجوف
مولع بالظلمة وافاعي وخيوط العنكبوت ..
كمعبد قديم مهجور ..
يحن دوما دوما ؛
الى تراتيل المنشدين ..
وأجراس مغموسة في مقلة الايمان ..
يحن الى عذراء حلوه ..
لعلها لم تولد بعد !
ذات أكتاف عارية
وبشرة سمراء ! ..
وصليب منسوج بخيوط من النور
ينام بحلم وديع .. على صدرها ..
وعلى هدبيها المريضين
تتراقص جنيات عاريات ..
وقد حفر على قلبها
صورة حبيبها الذي طوته البحار ..
هناك ؛ في مجاهيلها السحيقة ..
تلصق كفيها أمام شفتيها القرمزيتين ..
وهي تتمتم دعاء صامتا
ترفعه للآلهة ! ..

* * *

قلبي يحن الى البعيد البعيد ..
حيث بلاد عذراء ؛
لم يكتشفها انسان بعد
تصوغ في أعماقها
نباتا سماوي الطعم ..
يحن قلبي ياحبيبه ! ..
الى ؟ : ما لا أدري !! ..

٧/٢/١٩٦٠ .

تهاويل

شعر الآنسة : سزا غالي

سيدي :
لم يزل طعمها في فمي
لم يزل وهجها في دمي
لم أزل أتقرى شذاها على
ناهد بعد لم يفطم
ناهد هائج البرعم
لم أزل أحضن المخملا
فلعل عليه بقايا عبير
لم أزل أرتمي
في عوالمي السابحة
في تراجيع قبلتك الصادحة
لم أزل أعرقا نابحه
صائحه
أين أنت تعال وطامن دمي
سيدي !

* * *

سيدي :
في اختلاج النبيذ على مبسمي
فوق صدري ، وفي اعظمي
في ثنايا وسادتي الدافئه
في تهاويل أحلامي الهائته
في حنايا القميص الحرير
فوق شعري البديد النثير
فوق شالي ، على معصمي
لم يزل عرفها
لم يزل دفئها يرتمي
لم يزل عزفها
في دمي !

* * *

سيدي :
أنجما ، أنجما
أنت وشيت عمري النضير
أنغماً ، أنغما
عالماً مفعما
بالشذا ، بحكايا العبير
باحتراق الصبا المستثار
بثماني عشرة ، يخجل حتى النهار
بالغوى ، بارتعاش الدم
بسنا الأنجم
أنت لونت عمري الظمي
سيدي !

* * *

سيدي :
أين أنت تعال
ولك العمر ، زهو التلال
ونداء الصبابات ، بوح الربى
سيدي لك أيامي الدافئه
لك هذا الصبا
لك كل الكنوز ، وكل اللآل
سيدي لك عمري تعال

* * *

لك دفئي تعال فشوقي انتظار
(ضمني ضمني أنا للنار ،
للغيب ، للذراعين اللذين ٠٠)
للجبين اللجين ،
للهيب المثار
للهوى لك ياسيدي
وسأحيا على ذكرها
وسأنشى بها ، بشذا خمرها ،
وسأحضنها في دمي
في الحنايا الى يوم تغرب شمس الشباب
شبابي الذي صنته لك ياسيدي •

تحية الشهيـــــــــد

القصيدة التي القاهـا محافظ حماة الاستاذ ياسين الفرجاني
بمناسبة الذكرى الخامسة لاستشهاد بطل القومية العربية
والجيش المرحوم العقيد عدنان المالكي

شعر الاستاذ ياسين الفرجاني

خمس مررن وانت في الشهداء		نبراس تضحيـة ورمز فداء
وتظـل ما عدت مآثر امتي		امثولة الآبـاء لـلأبناء
ويظل يحكي الدهر قصتك التي		كتب المدى أسطارها بدماء
عدنان يا زين الشباب وفخرهم		يا حادي الفرسان للعلياء
يا ثوره البركان في أعصاره		ياشعلة من نخوة وذكاء
مامت ياعدنان أنت على المدى		أقوى وأبقى من ردى وفناء
من قال غيب في الثرى ليث الشرى		ابدا وتربك أنت في الأحياء
ولئن تحـــداك الردى بنصاله		فلقد تحديت الردى ببقـاء
ذكر الشهيد على الشفاه مردد		في موكب الاصباح والامساء
ما العار أن فل الحسام وانمـا		في الغمد غـير مشهر مضاء
فقدت بك الهيجا وقـد تيمتها		تزأر رواح بهـا غـداء
آمنت بالوطن الحبيب فذدت عن		أقداسه ودفعت كل بلاء
ووقفت كالطود الاشم منافحاً		في زحمـة الاهوال والارزاء
وثبت في وجه الصعاب فلم تلن		عودا ولم تسكت على نكراء
وهزئت بالاحداث وهي كثيرة		وسخرت بالاذناب والعمـلاء
غدرتك من خلف يد مأجورة		والغدر في العبدان والاجراء
راموا مبادئك الصراح فأخنقوا		نار مبادئنـا على الاعـداء
هيهات مـا كل المبادىء سلعة		معروضـة في السوق للشراء
ان العروبة غاية وعقيدة		تسمو مداركها على الهجناء
يطوي الفناء الكون الا امتي		ان الخـلود لامتي ولوائي
عدنان يارأد الضحى ياقبسة		آياتهـا في الليـلة الظلماء

احببت أرضـك عاشقاً فهرتها نفساً منزهـة عن الاهواء
مهر العروبة انفس تفدى وكم من فدية في دربها معطـاء
كم من أبي هب دون بـلادة فقضى ضحوك الثغر في الهيجاء
لاشيء انبل في الفتى من جوده بالنفس يوم يعز كـل سخاء
وأحب أوطاناً واسمى في الدنى وطن فدته مواكب الشهداء
عدنان والدنيـا صهيل صوافن وبريق أسياف ورجع حداء
ذكراك نفح بطولة وشهـامة وعبير اقـدام وعطر مضاء
نيسان خص بها وليس بغيرها في موسم الاوراد والاشذاء
شهر الشهور بـه الليالي تزدهي تيها بكل فريـدة عصماء
يا منكراً فضل العروبة حاقداً هيهات قد أنكرت وقد ذكاء
من ينكر الشمس المشعة في الضحى لاشك في الدنيا رهين عمـاء
فضل العروبة في الزمان قلائد طوقن جيـد الدهر والنعماء
سلها فقد نطقت بهـا آثارنا وحكين ما يخفى على العرفـاء
المجد صنع يميننا حفلت بـه نشوى ... بطاح رمالنا السمراء
من قاحل الصحراء قد طلع الهدى والحق في المعراج والاسراء
غمر الدنى دين النبي محمـد بشريعة عربيـة سمحـاء
العدل والفتح المؤزر والسنا واليمن منحة هـذه الصحراء
شتان ما فتح بـه مستعبد طاغ كفتح في سبيل اخاء
ايامنا غر محجـلة على هام الزمن مشعة الاضواء
في (بور سعيد) لنا مواقفنا التي هزمت جيوش ثلاثة حلفـاء
من كل فج اقبلوا فحشودهم مـلء البحار وملء كل سماء
وتساقطوا شلوا يعفره الـثرى نذلا وشلوا فوق صدر الماء
(جانبرت) في ذعر تغوص بروجها غرقا (وجول) مشرفي قضاء
ويجلون عن أرض الجزائر في غد للعلج والسفاح يوم جـلاء
بوركت (ياأوراس) كم من ثائر انبت فوق شعابك الخضراء
مستنفر كالليـل يلتهم الربى انى لهم منه سبيل نجـاء
في كل شبر من ترابك حفرة للطامعين بأرضك الغنـاء

فخر العروبة ياجزائر كبري … البعث هل بثورة حمراء
هذي عمان ثورة مشبوبة … في السفح والانجاد والبطحاء
عزلاء آلت ان تحطم قيدها … ايمانها بالله . . . في البلواء
عدنان فدية جيشنا انعم به … جيشاً ليوم كريهة ونداء
عند الحدود مرابط ومدافع … يحمي الحمى ويصد كل عداء
غنيته شعري على هزج المنى … ومحضته ودي وعطر ثنائي
ونشأت في احضانه ارقى الذرى … وعرفت فيه شمائل البسلاء
جيشي الحبيب فديته من قاحم … أهواه في السراء والضراء
ياقائد العرب المظفر جرحنا … لم يلتئم والثأر برء الداء
هيهات تندمل الجراح وارضنا … في قبضة الشذاذ والغرباء
نادت فلسطين يجلجل صوتها … يا ناصري ... ياخامس الخلفاء
ياراكز الرايات انت المرتجى … من ذا سواك يرد لي أبنائي
ياجامع الشمل الشتيت وباعث … المجد التليد وقاهر الاعداء
آن اللقاء وحان موعدنا على … حيفا فبشر ساحها بلقاء
بشر رباع القدس انك مقبل … في زحف غاشية الردى شعواء
لا السم يطفىء نارها يلقي به … في الزاد من مشلولة سوداء
كلا ولا الجاسوس باع ضميره … بدراهم يا خيبة السفراء
حاكوا المؤامرة الدنيئة خفية … فتكشفت عن خسة ورياء
قدر من الرحمن آية قوة … في الارض تدفعه وأي دهاء
عدنان يالمع الشهاب نضاالدجى … فانداح في فيض من اللالاء
لاقيت ربك راضياً مستبشراً … بغد لقومك مشرق الارجاء
الحلم حقق والعروبة نفضت … عنها غبار الهون والاعياء
والنيل من بردى دنا فتعانقا … وتلاقت الاهرام بالفيحاء
في وحدة صغرى لنا مشفوعة … بخطا تحث لوحدة جمعاء
والبعث وافى كل افق عارما … كالموج في كبر وفي خيلاء
والمارد الجبار هب وخلفه … زحف العروبة عاصف الانواء
الله أكبر هذه أعلامه … خفاقة فوق الذرى الشماء

من الف عام ترتجيه وقد أتى ... من يرتجى اللامة العربـاء
نادى بها عربـاً فهبت تنتخي ... من شـط مغربهـا لسامراء
الاسمر الموعود رائد قومـه ... أنبـاؤه تطغي على الانبـاء
فاذا تحدث تنصت الدنيا له ... واذا رأى فمفضـل الآراء
في كـل قلب يعربي ساكن ... وبكل عين ... ماثل للرائي
يخشاه اعداء الشعوب ومن همو ... عند الشعوب مآل كـل شقاء
سن السياسـة قوة وصراحة ... لا غايـــة لمنافع وريـاء
ومن الحياد بنى السلام اشعبه ... اكرم به من عامـــل بناء
للخير يعمل والرخـء وغـيره ... ما زال في الشحناء والبغضاء
ما أقرب اليوم الذي يزهو به ... وطن لنا ... متحرر الاجزاء
فروابع الاردن ارقها النوى ... مشتاقه كفرت بكل تناء
ولدجلة ـ والله ـ ثورة صابر ... تودي بقاسمهـا الى الدهياء
لاحد يفصل بيننا في موطن ... متماسك الاطراف والانحـاء
نسر جناح فى المحيط ومثله ... عنـد الخليج يشول بالجوزاء
والنجمتان وما احلى راية ... مشغوفـة بالانجم الزهراء
خفاقة بالمجـــد قد علقت بها ... دنيا العلا ... تجتاح كل علاء
ياغوطة الشام التي في ظلهـا ... عقدت عليه الشام الف رجاء
غنى فتـــاك وقد تردى مثخناً ... بجراحه في الساح ... اي غناء
وفاك حقك في النضال فبادلي ... ابـد الزمان وفاءه بوفاء
واستلهمي منه الملاحم جمـة ... والمكرمات على فم الشعراء
يا يوم عدنان علىك تحية ... ميمونة عربية الازجـــاء
اهديتها جدثاً تغمده وهـل ... جـدث سواه احق بالاهداء
فيـك المحافل والمنابر تنتشي ... وتغص بالبلغـــاء والخطباء
تروي المآثر والمفاخر كلهـا ... من سـيرة الامنـاء والعظماء
وتلقن الاجيال من تاريخها ... ماجل ... والاجيال في اصغاء
والشعب في احيائه ذكرى الالى ... سقطوا فداء . يجل بالاحياء

حسد !

قصة بقلم : عبد العزيز هلال

للمرة الاخيرة ، وقفت السيدة بهية تجاه مرآة الخزانة الكبيرة ، تتأمل نفسها ، وأفصح خيال بسمة مطمئنة عن رضاها ••• لم تزل شابة المظهر ، محتفظة بفتنة تلفت اليها انظار الاحداث والكهول على السواء ، رغم السادسة والثلاثين التي تكاد تغني • بينما كانت ابنتها الكبرى ، أمل منبطحة على السرير – خلفها – غارقة تماما في كلمات كتاب بين يديها ، لاحسان عبد القدوس ، استعارته من صديقتها سميره التي تلقته هي من شاب يغازلها لتتعلم فيه الحرية • لم تكن البنت أقل جمالا من الأم ، ولكنها أقصر ، ويجعلها عجزها الضخم أميل الى البدانة ، كما أن الاصباغ على وجهها تبعد الشبه ما بينها وبين أمها التي لا تستعملها البتة •

– أنا خارجة

لم تتحرك البنت • وحين بدأت الأم تهبط السلم الى باحة الدار ، صاحت :

– اذا جاء أبوك وسأل عني فقولي ذهبت الى الخياطة ، أسمعت ؟

وقبل أن تخفت طقطقة كعبي حذائها على بلاط الدار في الاسفل ، قلبت أمل الكتاب ووضعته مفتوحا على الوسادة ، وانقلبت على ظهرها وتمطت ، ثم قفزت نحو النافذة المطلة على الشارع الصغير الضيق ، وأسقطت عينيها فوق أمها التي كانت واقفة أمام الباب تتلفت في صمت باتجاهي الشارع • وتراكض نحوها ثلاثة صبيان تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والثامنة ، وبنت في الرابعة عشرة ، وأخرى في الرابعة ، وكانوا جميعا في هيأة زرية جدا ، قذرين الى حد مقرف ••• وتساءلوا عن وجهة ذهابها ، وطلبوا فرنكا لكل منهم ، غير أنها أبعدتهم بيديها متقززة ، محاذرة افساد أناقتها الرائعة ، وأمرت البنت الكبيرة :

– أدخليهم واعط كلا منهم قطعة من الخبز وشيئا من الجبن •• قطيعه !

غير أن صغراهم – سحر – ألحت لاثغة :

– لالا ، لا أريد •• ماما ! الله يخليك ، فرنكا فقط ، أريد فرنكا •

وتشجع أصغر الصبية ، واسمه هيثم ، فصرخ :

– وأنا أيضا ، ماما !•• الله يخليك ، فرنكا واحدا •

ولكنها كانت قد بدأت السير كطاووس كبير ، متمتمة بشتيمة قذرة ، في حين تولت نهله تنفيذ الامر فلملمت اخوتها وأدخلتهم البيت الى المطبخ • ولم تكد الأم تختفي في عطفة الطريق حتى انفرج ثغر أمل عن ابتسامة غبطة، مسرعة الى الخزانة ، ففتحتها ، وبحثت في أحد أدراج أرضيتها عن تبغة ، أشعلتها آخذة منها نفسا شهقته بتعطش ثم زفرته ببطيء وارتياح ••• وبعد ان أغلقت باب الخزانة لبثت تتمتع بالنظر الى نفسها في المرآة •

وصلت السيدة بهيه الى موقف الحافلة الكهربائية ، فوقفت تنتظر ، دون أن تظهر مبالاتها الشديدة بنظرات الرجال في الشارع ، ملقية بنظرة بارعة على ساعة صغيرة في معصمها ••• كانت الساعة تشير الى الخامسة والنصف وهو بالضبط موعد بدء عرض الفيلم • ومن هذا الموقف حتى الموقف الذي هبطت فيه ، كانت أعين الرجال في الحافلة مغروسة في جسدها ••• كانت سعيدة الى أقصى حد •

استقبلها ، على باب السينما ، شاب بدين في نحو الثلاثين من عمره ، قائلا بقلق ، وبلهجة غير دمشقية :

– كدت أيأس من مجيئك ، لماذا تأخرت ؟

– لا تتدخل في شئوني •

قالتها بحزم وكبرياء ، فلم يحرك شفتيه مرة أخرى ، بل تبعها مخرجا تذكرتي الدخول من جيبه ، وغاصا في الظلام •••

ودارت أمل حول نفسها ، منتشية بجمالها ، عدة دورات ، وحذا الفستان حذوها في يسر ، مشكلا شبه

مظلة .. وألقت بجسمها على مقعد يحاذي حافة النافذة ، تاركة الفستان كما اشتهى أن يتوضع بدلا من أن تردعه عن فضح فخذيها ... فسمعت صفير اعجاب ممطوط رفعت رأسها تنظر الى نافذة تقابل نافذتها تماما ، فرأت محمودا توشك عيناه أن تنفصلا عن محجريهما لتصلا الى الفخذين الظاهرين . ابتسمت له ، وجلست مرتفقة حافة النافذة . هتف متوسلا :

ـ لا لا ... دعيني أتأملهما بامعان .

حركت رأسها بدلال ، وهي تبتسم ابتسامة فاتنة . غاب لحظة ورجع الى نافذته مشعلا تبغة ، وألقى اليهـا بأخرى ، فلبثا يدخنان ، وهما يثرثران بنعومة وصراحة ، متبادلين ضحكات رقيقة ، وقبلات عبر الهواء الساكن . على أن متعتهما لم تطل ، لأن محمودا اعتذر لها باضطراره للذهاب الى الجامعة لحضور درس عملي مهم .. فهو قادم من الاسكندرية لدراسة الصيدلة في جامعة دمشق ، وقد رسب العام الماضي في السنة الاولى ، وعليه أن ينجح هذه السنة والا أثار ريبة أسرته ..

قالت له :

ـ اذهب اذن يا حبيبي .. يجب أن تنجح... نجاحك يهمني أنا أيضا ... هيا ، لا تدعني أزعل منك .

ـ آه يا أمل ! لشد ما أحبك !

ـ وأنا أكثر .

ـ حقـا ؟

ـ والله

ـ أنا أسعد انسان في الدنيا .

وتبادلا قبلة في الهواء .

تراجعت أمل الى السرير ، فتمددت فوقه ، حالمـة نشوى ... ما أكثر الذين يحبونها !

بيد أن وحدتها لم تستمر ، اذ دخلت نهله الحجرة بخفة ، متجهة نحو أمل ، وهي تقول :

ـ أظن أنك لم تتركي لي تبغة واحدة ، أليس كذلك؟

ـ أغربي عني ، أصابتك حمى ما أرقعك !

فلطمتها نهلة على وجهها ، وتماسكت الاختان بالأيدي ، ثم التحمتا في عراك عنيف ، يضج صوتاهمـا بالضحك والسباب . كانتا تجدان لذة مذيبة في التحام جسديهما مع تلك الحركات الهستيرية وشد الشعر والعض والتدحرج فوق السرير .. ورغم أن نهلة على طرف نقيض من أمل بنحافتها الى حد الوهن ، فانها كانت تكاد تكون متكافئة معها في احتمالها عنف عراكهما . وأخيرا تهافتت حركتهما .. وسكن الجسدان ، وقد تعرقا وتلونا بلون القرمز .

نزلت نهلة من فوق السرير ، لاهثة ، الى الخزانة . أما أمل فبقيت مغمضة عينيها ، وصدرها يعلو ويهبـط في حركة رتيبة واضحة . وأخرجت تلك ، من نفس الدرج ، تبغة أشعلتها ، وجلست فوق المقعد المحـاذي للنافذة ...

ـ أتريدين نفسا ؟

أجابت أمل بفتور :

ـ لا ، فقد دوختني التبغة التي أعطانيهـا محمود منذ قليل .

ـ أولاد الكلب ، هؤلاء ! لا أحد منهم يهتم بي .

ـ لا زلت صغيرة .

ـ أنا ؟ هه هه !.. أستطيع أن أبذك ...

قاطعها صفـير متقطع يتسامى من أسفـل الشارع ، فاستطلعت صاحبه ، اذا هو عدنان ، يقف في مدخل بيته بجوار البيت المقابل ، فقامت عن النافذة لتحل محلها أمل.

تبادلا ابتسامتين عريضتين ، وجمع يديه مع بعضهما بشكل كرة وضمهما الى صدره . فضحكت نهلة من خلف أمل ، ومنحته هذه شفتيها عبر الهواء ، فبدتا ـ وهمـا ممطوطتان على ذلك الشكل ـ قبيحتين .

كان رياض ، أكبر أشقاء أمل ، في تلك اللحظة يضرب أخاه الاوسط ، هشاما ، بكلتي يديه ، وهشام يصرخ ، بينما هيثم ينقل ترابا على قطعة صفيح ، من زاوية الشارع حتى باب بيتهم، لتجبله ببوله سحر وطفلة أخرى من الجوار لصنع « أقراص العيد » . فصرخت أمل من أعلى :

ـ ولك رياض ، ضربك الله ، لماذا تضربه ؟

ـ لأنه جحش ، بدلا من أن يلعب يخرب اللعب .

ودخل هشام البيت ممسكا ظهره بيد ، ماسحا أنفـه بالثانية ، باكيا ، لاعنا أبا رياض ... وضحكت أمل قائلة:

في المجتمع ، وبهذا الصراع يضعف مجتمعنا العربي في مختلف أقاليمه • يجب ان نحارب عناكب الطائفية ، ودعاة الفرقة والشعوبيين أعداء العروبة •

وفي لبنان يرى دعاة « الكيان اللبناني » ان الفينيقية هي الرابطة الوحيدة بين لبنان وتونس ، فحضارة صيداء وصور وقرطا جنة واحدة • ومعنى هذا ان عرب لبنان لا تربطهم بسوى الفنيقيين أي رابطة •

وفي العراق تتخذ الشعوبية مظاهر مختلفة ، هناك القومية الكردية ، وهناك الاشورية او الهلال الخصيب الى آخر هذه المعزوفة المكررة الى حد الملال • ومن الجائز أن تظهر هذه الدعوات والانحرافات والترويج الى الشعوبية والاقليمية ، والانفصالية في أماكن من وطننا العربي ، وهي النواحي التي لم تستكمل حريتها بعد وليست حرية الشعوب محصورة في خروج الاستعمار عسكريا من اراضيها ــ بل أشد الاستعمار فتكا هو استعمار الفكر والتوجيهالسياسي والثقافي والاقتصادي•فالاستقلال الحقيقي هو أن تقف الدولة على قدميها وترسم سياستها من داخلها ولا تذوب في القوى • بل تحاول ان تثبت وجودها مستقلة ، حرة ، تحمل اراء تابعة منها توجه بها مستقبلها حسب ما تقتضيه مصلحتها وخير مواطنيها •• أما ان ترتفع هذه الاصوات في القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، نواة وحدتنا المنشودة ، فهذا أمر يدعو للاسف • والواجب على المؤمنين بوحدة وطننا العمل على كشفها وتسليط الاضواء عليها ، وفضحها • وخصوصا اذا اتخذت حرية الفكر ستارا لهـا وجواز مرور الى اهدافها القذرة • ولهذا حمدت للاستاذ علي بدور عمله حين كتب موضوعه « عندما تدافع الفرعونية عن محمد » في « الآداب » وكان المفروض في الاستاذ غالي شكري ان يبلعها ويسكت ويترك معزوفات الاستعماري الانجليزي « كلوب » بعد ذهابه الى غير رجعة ، وخروج مصر من بؤرة العزلة والستار الذي قيد انطلاقها ، وشل حركتها العروبية الى مدة ليست بالقصيرة • وتغير كل شيء بعدا الثورة العربية ١٩٥٢ ، وزادت التغييرات بعد الوحدة ، وحدة ١٩٥٨ ، المباركـة • واصبحت بضاعـة العزلة « الفرعونيـة » في خبر كـان ، حيث كسـد سوقهـا وفقدت قيمتها ، وترك سماسرتها السوق ورحلوا • ان هذه المبيعات ظهرت عليها العفونة ولاح عليها الفساد ، ولم تعد صالحة للاستهلاك الوطني ، ان الـذي ينادي بالفرعونية اليوم ونحن في سنة ١٩٦٠ معناه أنه يجهـل الظروف المعاشة ، وأنا لا انكر ما قامت به دعوة « مصر للمصريين » وجمعية سلامة موسى « المصري للمصري » التي قامت على أساس تشجيع الانتاج الوطني ضد بضائع الانجليز • والمفروض في من ينادي « فرعون من جديد » أن يدرك ان ظروف « مصر أولا » ذهبت مع الريح • والحقيقة أن الذي يستمع لنوادي القاهرة الادبية وما يقال فيها أحيانا من اشياء مزعجة وتبعث على الغثيـان على حد تعبير « جان بول سارتر » منذ اسبوعين تقريبـا استمعت الى شاعر ينعت جمال عبد الناصر بانه « فرعون الجديد » وانه « روح فرعونية » ورد الشاعر في قصيدته لفظة : مصر ، والمصري ، وفرعون ، والشعب المصري أكثر من عشر مرات ، أين يعيش هذا الشاعر ؟ ان الكثير من الشعراء والكتاب يعيشون قبل ثورة ١٩٥٢ • وهذا أمر مخجل ويبعث فينـا الأسى والالـم ولنرجع للاستاذ شكري ••

قام الاستاذ غالي شكري فكتب في عـدد مارس من « الاداب » مقال « فرعون من جديد » بدأه بما يلي :

« تفضل السيد علي بدور في غمرة صياحنا من أجل حرية الفكر وراح بحسن نية مفرطة يستعدي عـلى

سلطات الدولة لأني ـ في رأيه ـ أعادي الحركة القومية وأدعو الى الشعوبية ، وأقف الى جانب الاستعمار هكذا مرة واحدة ••• رغم ان شقا واحدا في هذه الدعوى يكفي كثيرا لصنع اعظم مشنقة » •

ورغم ما في كلمة الاستاذ شكري من رقة وتهديب الا أن الكلمة تحمل في طياتها تهمة خطيرة للقائمين على الدعوة للوحدة العربية تهمة ذبح المخالفين والخوارج على العروبة ، والرمي بهم الى دنيا الضياع والتلاشي • والقومية العربية التي تجسدت ـ كخطوة أولى ـ في الجمهورية العربية المتحدة ، وكنقطة لتحقيق الهدف الاكبر وهو وحدة الامة العربية العامة من المحيط الى الخليج في دولة واحدة قوية • ولم يقم دعاة الوحدة العربية باضطهاد الشعوبية والانفصالية الى هذا اليوم • ولن يقوم الدعاة بذلك أبدا • نعم حارب دعاة الوحدة الشيوعيين العرب في وطننا • وهناك فرق شاسع بين الشيوعية والشعوبية ، وان اجتمعوا على محاربة الوحدة في بلادنا العربية •

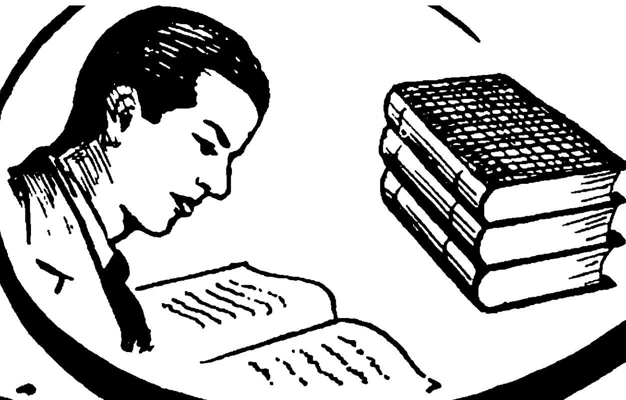
وللشيوعية مبدأ معين يتنافى مع مستقبل حياتنا المرجوة والشيوعيون عقائديون ولا شك•ولكن الانفصالية العربية والشعوبية هي مجرد حركات يبعثها الاستعمار وينميها لنبح القافلة ، السائرة ، وتلهى الركب لنبح الزاحفعن التقدم الى اهدافه البعدة الشريفة • فعلى القراء الواعين فتح أعينهم على ما يقرأون ـ ويشتم منه روح الانفصال والتفرقة ، وان يوقفوا هذهالمسرحياتالتي مجها الجمهور العربي ـ ومل مرآها • وأنا هنا أريد أن أشكر الأخ على بدور على وعيه وتفهمه لما يكتب ـ قوميا ـ في دنيانا العربية وفي المجال القومي على الخصوص في مجلة « الآداب » مجلة العرب الاولى ، ولصاحب « فرعون من جديد » احترامي وتمنياتي •

محمد العيساوي الجمني
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

★ ★ ★



كتب وقراء



ايام معـــه (١) .. ايضاً

بقلم : تحسين نجار

من الظواهر الجديدة لادبنا العربي الحديث ظهور الادب النسائي بصورة ملحوظة لا سيما في مجال الانتاج القصصي . وهذا مالم تعرفه الاجيال الادبية على هـذا النحو في السابق .

والسمة العامـة لهذا اللون مـن القصص هـو تأثره الواضح بالفكر الوجودي وتعبيره عن تجارب فرديـة خاصة تعتمد على المذكرات والاحـداث اليومية لهـذه التجارب الحياتية .. وتبدو هذه القصص بصورة عامة على غـرار الانتـاج القصص المكاتبة الفرنسيه الناشئة (فرانسوا ساغان) وان كانت هذه القصص تختلف فيما بينها من ناحية العمق والقيمة الادبية والذوقيه تبعا لميزة كاتبتها وطابعها الخاص .

وابرز الامثلة على هذا اللون من القصص .. قصتا (أنا احيا) لكاتبتها ليلى بعلبكي و (أيام معه) لكوليت سهيل . وسنحاول هنا أن نعرض للقصة الثانيه (أيام معه من وجهة نظر قارىء متذوق .

* * *

(ريم) بطلة القصة فتاة موسرة تعيش حياة مرفهـة عريضة بلا مشاكـل أو متاعب جديـة ، ولا ينغصها الا الفراغ والملل .. وهي تحاول تحت تأثير ذلك أن تجد ما يشغلها ويقلل مـن وطئـة فراغهـا .. وتحصل على وظيفة في احـدى الوزارات .. وأثناء مقابلتها للوزير ومن خلال حديثها معـه تتساءل (ريم) : (أتعتقد أن الغاية مـن العمل هي كسب المال فحسب) ان العمـل بالنسبة لريم مجرد مزاج ومجالا لقتل الوقت وفي سبيل أن تحيا الحيـاة التي تريد .. حياة بطرة ومحيط باذخ عجز أن يلقي في وجهها من المشاكل مـا يكفي لاشعالها وابعادها الفراغ والضجر .. اذن لتخلق هي لنفسها ما يبدد هذا الملل فتوظفت .. وان كـانت الوظيفة ليست السبيل الامثل لخلق جو مثير يعين على ملء هذا الفراغ وريم نفسها تجيب وتفصح عما يمكن أن يشغل حياتها على نحو أفضل .. انه الحب .

(ان حريتي لا تفيدني وانني افتتها اربا اربا وانثرها ريشاً تحت أقدام رجل أحبه).هذا رغم كونها مخطوبة

لقريب أمها (الفريد) الافرنسي • وقد سألتها يوما جدتها عن أسباب توظيفها : (ماذا دهاك ياريم ؟ هل ينقصك شيء ؟ لباس •• أكل أي شيء •• ؟) وهي تجيب (ألا تشعرين أنني أموت !•• أموت من الفراغ ! •• أموت من الملل ••) •

ان ظروف ريم العائلية والطبقية مشكلة لأن حياتها بلا مشاكل والمشاكل هنا أصبحت حاجة وضرورة يجب خلقها عن أي سبيل مناسب • مشاغل تثير الانفعال وتولد الاحداث وتوفر ما يلزم لان يحرك هذه الحياة المشبعة الى حد التخمة • والحب لابد منه لخلق الاجواء المثيرة والملائمة للقضاء على الفراغ والملل •

والواقع ان القارىء يتوقع أن هنالك قصة حب آتيه على الطريق حتى قبل بدء هذا الحب •

وبتعرف ريم والتقائها بزياد الفنان الموسيقي في محل بائع الزهور يدرك القارىء أن هذا الحب المنتظر أخذ طريقه • وبدأت بعد ذلك الاحداث في سلسلة المواعيد واللقاآت والمكالمات الهاتفية والنزهات •

ومن بداية التعرف بزياد الذي تقول عنه ريم : (هذا الموسيقي من نوع الرجال الذي يعرف كيف يحدث المرأة) •• نستطيع أن نخمن لا بل نعرف مقدما مصير هذه العلاقة ونهايتها على الذي حصل فعلا حتى قبل ختام قراءة القصة •

والحقيقة ان عملية التوقع هذه من قبل القارىء لا تحتاج الى كثير من الفطنة فان زياد الذي يعتقد أن (الحب امرأة جميلة والمرأة جسد ـ• والصداقةمصلحة شخصية •• كلها زيف • الاهل انانية •• روابط سخيفة ! التضحية ضعف) وانه لا يعتقد ذلك فحسب بل يصرح به أمام حبيبته المنتظرة كاراء له يعتنقها في الحياة • كما أن ريم نفسها تعرف ان هذا الرجل الذي لا يزال مشروع حب لديها وتعلم (انه يهتم دائمابالجمال ويحوم حوله كما تحوم النملة حول الزهور •• وهو يريد أن يتمتع بالمرأة ثمرة يانعة ليلفظها نواة) هذه شواهد وامور كلها تعين القارىء وتعطيه امكانية معرفة قيمة هذه العلاقة ومصيرها الموقت بين زياد الخبير في شؤون الحب والنساء والذي يجيد استعمال كلمات الغزل ومحادثة المرأة كعملة متداولة •• وبين ريم الباحثة عن شيء جديد في مغامرة عاطفية تمكنها من اذابة فراغها الذي تشكو منه رغم كونها مخطوبة لرجل آخر ــ لا سيما وان الزواج في نظر ريم (موسسة فاشلة) وهو رتابة والرتابة تقتل الفن) •

هذه العلاقة بين ريم وزياد لا تعدو أن تكون مجرد مغامرة اندفع اليها كل منهما يبغي التعرف على الوجه الجديد وتحقيق رغباته الذاتية في هذه العلاقة •• زياد الفنان والشخصية الخبيرة في شؤون النساء والمحترف للحب لديه ماض عريض وعريق في هذا المجال • ان هذهالشخصية بالنسبة لريم شيء جدير بالمغامرة ونموذج من الرجال يستهوي الفتيات في مثل عمر ريم وظروفها البيئية وفراغها البطر •

انه موضوع جدير بمعرفته عن كثب ولا يخلو من تجربة وخبرة ومتعة تغني الحياة التي تعيشها ريم فيهذه البيئة المترفة •• فلا بأس من موضوع يخلق نوعا من توتر لذيذ واشغال يقوم بمهمة ملأ الفراغ وقتل الملل • وقد أخذت المشاعر المشحونة في خلال العلاقة الجديدة تؤدي المراد فتركت ريم عملها وهي لم تعد بحاجة الى قتل الوقت بعد أن تعرفت على زياد وزال مبرر العمل لديها •

فبعد أن كانت ريم لا يصعب عليها اختيار الثوب الذي تلبس أخذت تعذبها الحيرة في اختيار الثوب اللائق لها !! • ان ريم تتساءل عندما تكون على وشك اللقاء مع زياد : (ماذا ارتدي ؟ الثوب الرمادي العريض•• ؟ أم البنفسجي الضيق •• ؟ عذبني الاختيار !) • وبعد هذا العذاب المبرح قررت أن تلبس الثوب الاسود لان هذا اللون يوحي اليها (بالرفعة والسمو ••) ولميصل هذا الايحاء المجد •

وعذاب الاختيار هنا والحيرة أمام خزانة الاثواب والملابس نوع من الجدة في حياة خاليه من المشاكل

الحقيقية البعيدة عن هذه البيئة •

واستمرت علاقة الحب هذه لبضعة شهور بين ريم وزياد وانتهت النهاية الطبيعية المقدرة لها •• أما رغبة زياد وطلبه الزواج من (ريم) بعد أن أساء اليها بعلاقة جديدة مع امرأة أخرى وبعد أن بردت عواطفها نحوه فهو طالب خبير يعرف مقدما ويعلم جيدا ان (كأس الكريستال) قد تحطم وان طلب هذا لم يكن سوى دون جوانية ماهرة تريد أن تختم القصة المرسومة لتزيد حبكتها بعد أن استنفذت أغراضها في أوقات ممتعة وليالي تعبق بالحب مع وجه جديد يضيفه الى سجل الوجوه القديمة في تاريخه الحافل •

وريم الشاعرة باللغة الافرنسية فقط والمخطوبةلقريبها (القريب) الشاب الفرنسي •• لا بد لها أن تنهي هذه العلاقة بعد أن وجدت ما يبرر الانتهاء ورفض طلب الزواج وبعد أن خلقت لها هذه العلاقة الجو الملائم لاذابة مشكلتها الكبيرة الفراغ •• والملل في أتون لقاآت الحب الدافئة والتوتر العاطفي والمواعيد •• ووجوه رجلين (زياد) العشيق و (الفريد) الخطيب •• جو رومانتيكي يستطيع أن يحرك مستنقع الحياة اللطيفة التي تعيش فيها ريم •

ان قصة (أيام معه) ليست سوى قصة حب عادية لتجربة فردية من خلال حياة نموذج لفتاة معروف جدا في مثل الطبقة التي نشأت فيها ريم وبقية أشخاص القصة •

والملاحظ بشكل واضح ان جو القصة واحداثه لم يتجاوز ابدا ابعاد حياة هذه الطبقة ولم يبرز باخلاص الا حقيقة نوعية الاهتمامات والمفاهيم والمشاعر ضمن شرنقة معزولة لهذا القطاع من المجتمع العربي • فالاحداث والاجواء والحركات كلها كانت تدور خلال حفلات الكوكتيل •• والسهرات المخمورة •• ونزهات في السيارات الخاصة •• ونادي الشرق ومطعم الكازا نوفا •• وغرفة زياد الموسيقي •• وبيت ريم وغرفتها و (المقعد الاخضر) فيها والستائر (البيكاسو) •

أما شؤون حياتنا الاخرى •• أما المشاكل التي تحيط بوطننا وشعبنا أما معاركنا االطاحنة أما الاحداث الضخمة التي وضعت مصيرنا ووجودنا أمام نتائجها والتي هزت العالم منذ نكبة فلسطين حتى اليوم والتي تغلغل أثرها حتى أعماق ريفنا المدثر بالجهل والانقطاع عن العالم •• هذه أمور لا نكاد نجد لها أثر أو مجرد لمحة تشير اليها لا من قريب ولا من بعيد •• انها مفقودة تماما من حياة أشخاص القصة وكأنهم يعيشون في علبة أو في عالم آخر بعيد عن ارضنا واوضاعنا •

ان الادب بمفهومه الحديث لم يعد اداة لتزجيةالفراغ وقتل الوقت بالوان فاقعة مشوهة لا تمت الى حياتنا الحقيقة بصلة •

وسواء أخذنا بمبدأ الالتزام أو الحرية في الادب •• فان أي أثر أدبي لا يمكن أن يؤدي وظيفته أو يصل الى مستوى الانتاج الناضج الا بقدر ما يمكنه أن يشارك في تطوير حياتنا ويعبر عن أماني شعبنا وواقعه ومشاغله الحياتية • لا سيما في عهد نحن أحوج ما نكون فيه الى الادب الناضج الموجه الذي لا يفتقر الى الجمال •

وبعد فان أهم ما تمتاز به قصة (أيام معه) هو لغة القصة واسلوبها السلسل الشفاف والحبكة القصصية التي تبدو في تسلسل وقائع القصة ورواتبها •• وخلوها من الخلخله في تتابع احداثها ومشاهدها وهي تدل على جوهة قصصية ناشئة بامكانها ان تقدم لنا أثارا أجود اذا استطاعت صاحبتها أن تعي تجارب أكبر واوسع وأكثر جدية مما قدمت انا في هذه القصة • فالموهبة الاصيلة تستطيع دائما أن تحطم الحدود الضيقة من بيئة وغيرها وتنزل الى الحياة الغنية لتغترف منها الصور الصحيحة الصادقة لا المشوهة لتقدم لنا انتاجا أثقل وأرجح وأصح •

تحسين

«أغان بوهيمية» لسليمان عواد

على ضوء النقد

بقلم : عيسى فتوح

لقد ساد في الآونة الاخيرة نوع من الخلط في مفاهيم الشعر الحديث ، فبعضهم ، كالدكتور صالح الأشتر مثلا قسمه الى شعر حر وشعر متحرر ، وقال عن الاول انه « يقوم على وحدة التفعيلة في القصيدة ، وتنويع عدد التفعيلات في كل بيت تنويعا يوافق انسياب الموجات النفسية ، أما الشعر المتحرر فهو الذي يرفض كل قيد ويتحرر من وحدة التفعيلة والقافية » .

أما الاستاذ أنيس المقدسي فقسمه الى نثر شعري وشعر منثور ، فالاول « تغلب فيه الروح الشعرية من قوة في العاطفة ، وبعد في الخيال ، وايقاع في التركيب وتوفر على المجاز » وجعل جبران خليل جبران في مقدمة من عرفوا بهذا النوع من الادب ، والثاني أي ـ الشعر المنثور ـ « محاولة جديدة قام بها البعض محاكاة للشعر الافرنجي » وجعل رائده الاول أمين الريحاني في ريحانياته ، فهي مقطعات « تلمس في جميعها هذه النزعة الى النظم الحر من قيود الأبحر العروضية المعروفة » ثم انه يضرب الامثلة على كلا النوعين ، ويذكر أن عددا من المحدثين استهوتهم هذه الطريقة للتعبير عن الاحساسات والانفعالات النفسية .

بينما لو راجعنا كتابا آخر ، ككتاب (في الأدب الحديث) لعمر الدسوقي لرأيناه يقسم الشعر الحديث الى نوعين اثنين أيضا : الشعر المرسل والشعر الحر « أما الاول فهو موزون ولكن لايتقيد بقافية ، والثاني لا يتقيد بوزن ولا قافية » ثم يورد في تلك آراء لمصطفى صادق الرافعي والأب لويس شيخو ، وهذه الآراء على تطرفها لم تغمط هذا الشعر حقه . يقول شيخو : «ولسنا ننفي هذه الطريقة الكتابية التي لا تخلو من مسحة من الجمال في بعض الظروف ، اللهم اذا روعي فيها الذوق الصحيح ، ولم يفرط في الاتساع فيها فتصبح لفظا وثرثرة » .

ومهما يكن من الاختلاف في التسمية ، فان المؤدي يبقى واحدا ، سواء سمي حرا أو متحررا ، وسواء سمي شعرا منثورا أم نثرا شعريا أو مرسلا أو حرا ... واعتقد أن الاختلاف في التسمية يعود الى أن اصطلاحات هذا الشعر لم تستقر بعد ، والى أنها ما زالت مترجرجة ، مضطربة ، وسيمضي زمن قبل أن تتركز قواعده ، وقبل أن توضع له أسسه ومقوماته ، ومن هنا نرى أن معظم

خطيئة أم

تمة ما نشر على الصفحة « ٣٥ »

آه من جسد الأم الذي اشتعل فاحرق أواره قلب الابنة ، والف آه من الاقدار التي ارغمتنا ان نسلك هذا السبيل .. أما بقي في قلبك ذرة من العطف والحنان فتشفق بها على قلب الابنة أما جسد الأم فملك ان تضعه في فم البركان دون أن تصغي الى أنينه أو تراه يحترق في اللهيب المشتعل .

وجمع سمير شتات الرسالة الممزقة وراح يقرأها ويسكب الدمع من عينيه بغير انقطاع ..

الياس طعمة

من جمعية المهد الجديد

الابحاث التي تعالج الشعر الحديث بأنواعه المذكورة ، انما تعالجه من وجهة نظر شخصية ، دون أن تستند على قواعد ثابتة ، مركزة أو موضوعة ... واذا صادف هذا النوع من الشعر بعض المقاومة فمد ذلك الى عدم تفهم الفئات الباحثة أو المهاجمة ، اياه ، وعذرها يبقى مقبولا ، مادامت لا تكثر مطالعة بعض نماذجه الرائعة ، واعتقد أن الاذهان الواعية اذا ما فهمته على طريقة ما ، أو تدبرته نوع تدبر ، خففت من غلوائها ، وأطفأت من نار حدتها ، وتراجعت عن قولها من أن هذا الشعر يعتبر ثورة لتحطيم التقاليد العربية أية تقاليد ، وأنه نوع من الشعوبية الخبيثة التي تتستر برداء التجديد !!

احببت أن أسوق هذه المقدمة قبل أن أتحدث بكلمة واحدة عن « أغان بوهيمية » ديوان « سليمان عواد » الجديد ، الذي استقبلته السوق الادبية قبل أسابيع ، ذلك أن سليمان عواد أحد رواد هذه المدرسة الحديثة التي تمردت على القوافي والاوزان وعبرت عن ذاتها بطريقة خاصة ، فيها شيء كثير من الصدق والاخلاص ، وفيها شيء كثير من جمال التصوير ، والتجاوب الذاتي .

من الظلم جدا أن نطالب الاديب او الشاعر بنوع معين من الادب أو الشعر نحبه ، أو نؤثره على غيره ، معتقدين أنه طريقة افضل في التعبير ، لأن الاديب انما يرسم انفعالاته ، ويلقي ظل نفسه ، ويرضي عقله وعاطفته ، ولا يهمه أن يسلك السبيل التي يعرف أنها تعجب القراء أو تسخطهم ، واذن فنحن نحاسبه على ما كان وليس على ما يتطلبه الذوق السائد ، ومنذ متى أسلم الفن الاصيل قياده الى الذوق السائد ؟! . ان الشعر فن كباقي الفنون الجميلة ، والفن الخلاق هو الذي يستطيع أن يتمرد على القواعد والاصول المحنطة ، فلا يحده قيد من القيود ، بل أي شيء كانت تكون عبقرية شكسبير لو لم يتمرد على الاصول الكلاسيكية التي كانت تقيد الشاعر أو الكاتب المسرحي ، اذ كان عليه أن يحافظ على وحدة الزمان والمكان ، وعلى وحدة الغرض في مسرحياته ، ولكنه لم يفعل ذلك ، بل ثار على هذه المرتكزات الفنية العميقة الجذور معتقدا أن الفن فوق القواعد وفوق الاصول .

سقت هذا الكلام لأعبر عن مفهوم الثورة على القواعد المجهدة ، القواعد التي تربط الابداع بسلاسل من فولاذ وتتحكم به ... وانني أحيل أنصار الاوزان الكلاسيكية والشعر التعليمي – الذي يعدونه بين الشعر – الى رأي للدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (فقه اللغة ص ٢٣٢ الطبعة الرابعة) يقول فيه : « أما نظم العبارات في أوزان خاصة فليس شرطا أساسيا في الشعر : فاذا ما توافرت الصفات السابقة (أي اتجاهه الى مخاطبة الوجدان والعواطف ، ثم توفر الايحاء والخيال والتشبيه والمجاز والكناية و ...) في كلام منثور اعتبر شعرا في الاصطلاح الادبي ، وان جنح كلام منظوم الى الشرح والاستدلال ، والتعمق في توضيح الحقائق وتغلبت فيه وجهة الدلالة على وجهة الايحاء والتأثير ، فانه لا يعد شعرا على الرغم من أوزانه وقوافيه » .

ترى أي عنصر من عناصر الشعر يفتقد ما يقوله سليما عواد في « أغان بوهيمية » أو ما قاله سابقا في « سمر نار » و « شتاء » أنخرجه من الشعر لأنه تمرد على الوزن والقافية !؟ فأين اذن نذهب بالعناصر الاخرى المهمة كالخيال والصدق في العاطفة ، والمجازات والصور ، و ..؟!اننا اليوم لا نقبل ، ولا يجوز أن نقبل تعريف قدامة بن جعفر للشعر بأنه « قول موزون مقفى يدل على معنى » لأن تعريفه ينطبق على هذا الشعر الذي كان يقنن له القوانين في عصره فقط ، أما اليوم فيجب أن نبتكر تعريفا جديدا مطابقا لشعرنا وموافقا لمفاهيمنا الجديدة .. ان الادب غير العلوم ، فهو لا يقبل القوانين بل ما أتفه الأدب اذا حددته القوانين ، ورحنا نفهمه فهمنا للمقاييس !..

وبناء على هذا افتح أي صفحة تريد من «أغان بوهيمية» تر الجمال في المعنى وفي المبنى ، وتعثر على الاناقة في التصوير ، والبراعة في خلق الصور التي تروقك وتهرع الى قلبك والى ذهنك ... وأنت أحيانا قد لا تعثر على هذا الوضوح التام في الفكرة ، وهذا مطلبنا من الشعر

الذي هو لغة الوجدان والعواطف لا لغة العقل ، ولأن « الفن كلما ازداد غموضا زادت فيه قوة الايحاء ، لهذا كانت الموسيقى ايحاء صرفا لأنها لاتقول شيئا بل توحي الى السامع شعائر مختلفة » (راجع النقد الجمالي لروزغريب ص ٩٠) .

ولعل هذا الغموض المحبب آت من ايمان سليمان بالرمزية التي قرنت الشعر بالموسيقى وأرادته ايحاء صرفا ، بل جعلت الغموض أهم ميزاته .. ان الرمز يطالعك في عنوان القصيدة الاولى (القصيدة الخضراء) وما أكثر ما تقع على (العطر الجريح) و (النسمة الزرقاء) و (الفجر الاشقر) و (الدفء الحزين) و ... واذا ذكرنا الرمزية في شعر سليمان فلا يعني هذا خلوه من الرومانتيكية التي تقوم على بث العواطف والشكوى ، وعلى حشدها كثيرا من الالفاظ ذات المدلول الواسع على ما تعانيه هذه النفوس من حرقة الوجدان ، ومن القلق العنيف المستمر ، بل لعلي لا أكون مغاليا اذا قلت أن الفاظ الحزن والوحشة ، والقلق والتشرد ، والكآبة والموت والضياع والفناء ، هي العمود الفقري لشعر سليمان ، ويكفي أن تلقي نظرة على عناوين قصائده لتقرأ (وردة تحترق ، تشرد ، النيران المجنونة ، صراخ قلب ، خريف ، أختاه ، انشودة الفناء ، احتراق ، ضياع ، العصفور الشارد ، قلب ضائع ، القصيدة الجريحة ، اغنية ممزقة) الى آخر ما هنالك من الصرخات النفسية التي تظهر برمه بالواقع الاسود المظلم ، وتحلم بمستقبل لعله يكون اكثر زهوا ، وأبعد انطلاقا . وهكذا فباستطاعتك أن تحكم على نفس سليمان بأنها نفس ظامئة تريد أن ترتوي ، عارية تريد أن تكتسي ، جائعة الى الحب والخير وتريد أن تشبع ، نفس ترسم أحلامها الذهبية آناء الليل الف مرة ومرة ثم يأتي النهار بقسوته فيهدمها أي هدم ، ويأتي الواقع فيحطم كل أمل له بالمستقبل ، وعندئذ ماذا يعمل ؟! انه يستسلم لآلامه ، وينطوي في قوقعة يأسه ذاهلا عن دنياه ضائعا في لجة من التساؤلات :

أين ذهبت حياتي يا أحلامي البعيدة ؟؟
أين مضى عمري يا أوهامي البليدة ؟
لقد اطعمت النيران عمري ،
وسقيت العدم حياتي !
أين تلاشت قباب احلامي الغريبة ؟!
غير ذكريات مرة
غير أخاديد في جبهتي مسكينة
لم اقتطف منك يا عذاباتي العتيدة
يا أحلام احلامي البعيدة الخ (من قصيدة ضياع ص٧٣)

ولعلك تلمس هذا البون الشاسع بين واقعه ، وبين ما يأمل أن يكون في صرخته المرتجفة (أين تلاشت قباب أحلامي الغريبة ؟) لقد حفرت أخاديد الألم جبهته وهو يرسم احلام المستقبل ، ولكن شيئا منها لم يتحقق . ويظهر أن سليمان أدركه ما يسمونه ب (مرض العصر) وهو عبارة عن احساس بالضيق ينشأ في النفس من عدم القدرة على التوفيق بين ما تأمل وما نستطيع ، فالانسان العربي وقد بلغ حدا كبيرا من الوعي - يأمل عادة أكثر مما تستطيع قدرته ، ولما كان تغيير الواقع ليس ميسورا ، بل هو مستحيل ، فان هذه النفوس التي ابتلاها الله بشدة الحساسية تستسلم الى يأسها ، وتروح تغني آلامها وشقاءها وعذابها .

والعنصر الاخر من عناصر الرومانتيكية في شعر سليمان هو ولعه بالطبيعة ، ولا عجب فالطبيعة كانت ولم تزل الكهف الذي يأوي اليه المحبون في حال يأسهم ، فكم من شاعر يلتجىء الى الطبيعة ، ويتكيء عليها ليجد له منفذا يخرج منه ... ان الطبيعة هي الأم التي تحدب على الشعراء وتغمرهم بعنايتها وتمدهم بالقوت الشعري ، ألم يلتجىء « لامارتين » الشاعر الفرنسي الكبير الى البحيرة كي يلقي اليها بشجونه ! ويبثها ما بقلبه من وجد واشتعال ؟! ان الطبيعة مستودع أسرار كل شاعر ، تحمل عنه اعباءه الثقيلة عندما ينوء بحملها ، وتسكب في قلبه الاطمئنان والهدوء والراحة والسكينة ، ولهذا كان حب الامتزاج بالطبيعة أصيلا في نفس كل شاعر .

وكما بث لامارتين بحيرته أسرار حبه ، فان سليمان

كذلك سار على نفس المنوال ، وراح يناجي بحيرته قائلا:
عندما يستيقظ الربيع في قلبك ،
وتشتعل الرغبات الحلوة في روحك ،
أتأسفين على حرمان مضى ؟!
أيتها البحيرة من صقيع
عندما يستيقظ الربيع في قلبك ؟!

★ ★ ★

كنت مثلك مغمورا بالثلج والوحشة ،
حاسبا أن الشتاء
سيبقى في نفسي الى الأبد ،
ولكن شمسا مقدسة أذابت الثلج من قلبي
وها ان عروقي تلتهب ،
أنظري أنظري البراعم الندية الخ •• (الديوان ص٢٣)

الواقع أن بحيرة سليمان لاتقل جمالا عن بحيرة الشاعر الفرنسي ، ففيها شحنات كبيرة من العواطف التي يسكبها قلب شاعر ، يبحث عمن يفضي اليه بذات نفسه فلم يجد آمن من البحيرة !•

وفي قصيدة (عتاب) تلحظ الطبيعة ماثلة امام ناظريك بصيفها ، وحقولها اليانعة ، بأهازيج الحصادين وأغاني العصافير في المزارع ، بالسنابل الشقراء المتماوجة بحرا من ذهب ، وبأغاريد الرياح فوق القمم المكسوة بالثلوج (الالفاظ هنا مقتبسة من القصيدة) •

ان حياة الريف الجميلة تستبد بسليمان استبدادا قويا ، وكيف وهو ابن الارياف الحلوة ، حيث يستوطن الهدوء والصفاء والنقاء في كل شيء ، وحيث تلمس البساطة بأجلى مظاهرها ، ولذلك فهو يحن للرجوع اليه ليسمع عزف الناي وسط الغابات ، ليرى الرعيان والبراعم المتفتحة في أول الربيع ، ليعيش مع الطبيعة في حنانها وسخطها ، في هدوئها وثورتها ، في عطائها السمح وفي جدبها العنيد •

أخشى أن أكون قد اكثرت من الكلام الذي قد يسخط البعض أو يرضيهم ، ويكفي أنني قلت ما اشعر به دون محاباة أو اطراء ، ولا أشك أخيرا أن مستقبلا أدبيا ضخما ينتظر الاستاذ سليمان عواد اذا ما استمر على هذا المنوال يبدع فنا للفن •• لقد عشت مع سليمان في كل سطر من ديوانه فتألمت حينا وفرحت حينا آخر ، تألمت لهذا الواقع ترسمه ريشة شاب فنان كما جاء دون زيف أو تمويه ، دون زيادة او نقصان ، وفرحت به يكتب دون ان يدع للقنوط سبيلا الى نفسه •

دمشق ــ عيسى فتوح

العدد الماضي في الميزان . . الشعر . .

بقلم : عدنان بن ذريل

في العدد الماضي من الثقافة الغراء ، احدى عشرة قصيدة ، مختلفة النمط ، والموضوع ، والاسلوب .. منها القصائد القومية ، الوطنية .. ومنها القصائد الغزلية والبوحية .. ومنها قصائد الوصف للطبيعة ..

أغلب هذه القصائد سلفي ، عمودي .. يلتزم قواعد النظم العربي ، أوزانه ، وقوافيه .. مثل عامان مرا ، للاستاذ ياسين فرجاني . وطرفي بطرف النجم للاستاذ حنا الطيار ، ومرحبا ياصباح للاستاذ احمد علي حسن ، وقلب للاستاذ نجم الدين الصالح، والغد المشرق للاستاذ علي الشيتي ، وتحية دمشق للاستاذ ممدوح مولود ، وبين الاطلال للاستاذ مدحت عكاش .. ونمت بين القصائد، قصيدتان تجريان على النمط الحر ، فتلتزمان التفعيلة من العراق ، للاستاذ صلاح قادر ؛ في حين نمت بينها من العراق ، للاستاذ صلاح قادر ؛ في حين تمت بينها قصيدة واحدة موشحة هي الطريق الضيق للاستاذ محمد جنيدي ، وقصيدة واحدة من الشعر المنثور ، هي وتعود تسألني ، للسيدة غادة سلهب الحصني ..

تختلف القصائد السلفية ، العمودية ، بعضها عن بعض بفكرها ، ومعانيها ، ومشاعرها ، وسبكها ، واسلوبها .. وهي تعالج مموضوعات مختلفة ، قومية ، وغزلية ، ووصفية .. الامر الذي يثلج الصدر حقاً على الخصوص أنها في معظمها جيدة ، تنم من شاعرية ، وأبدع ..

عامان مرا للاستاذ ياسين فرجاني ، قصيدة قوممية ، وطنية ، في تمجيد الوحدة بين مصر وسورية ، وهي طويلة ، وتجري على البحر البسيط .. يستهلها الشاعر بقوله :

الفجر آذن ، فأهناً يا أخا العرب ..
بالعيد يرفل في أثوابه القشب ..
وافيت قصدك مرفوع الجبين على
درب النضال كريم القصد والطلب..

وقد تحدث فيها عن العروبة ، والوحدة بين مصر وسورية ، والجهاد العربي اليوم ، وألمع الى انتصارات القنال ، ومآسي دير ياسين ، والجزائر ، ونكبات العراق .. ومن المعاني الفائقة فيها تغنيه عيد العروبة ، في يومها اذ يقول :

عيد العروبة غنت في مواكبه
دنيا المحيطين في كبر وفي طرب
نصر من الله ، والآمال مشرقة
والبعث يزحم دنيا الهول ، والنوب..

أو قوله في الحماسة ، مخاطبا الرئيس جمال عبد الناصر :

سر ياجمال ، فعين الله كالئة
والعرب خلفك ان ناديتها تجب ..
ياناصر العرب هذي خطوة وغداً
كبرى فديتك فيها منتهى الارب ..
أنت الرجاء لقومي بعد فرقتهم
آن الأوان ، فوحد أمة العرب ..

القصيدة في مجموعها جيدة ، وتعتبر نموذجا موفقا ، ناجحا ، للشعر التقليدي .. وقد عثرت على هنات في تركيبها ، أو هلهلة في تشبيهاتها ، مثل ذلك ، قول الشاعر فيها :

يامطلع الفجر ، هذي مقلتي رشفت ،..
ظمأى اليك رؤاها .. كل ملتهب ..

ففيه اعتراض ضعيف ، والمعنى فيه ضعيف ..
أو قوله فيها أيضاً :

عين القنال على العدوان شاهدة ..

ان كنت تصدق ياقرصانهم أجب ••

حيث نزدحم المعاني ، الى جانب الهلهلة في التشبيه •• وغير ذلك ••

وقصيدة الاستاذ حنا الطيار ، طرفي بطرف النجم ، قومية ، وطنية •• وهي في تمجيد الوحدة بين مصر وسورية ، وتقع في أبيات معدودات ، وتجري على البحر الكامل••وهي جيدة السبك ،موفقة في معانيها وتشبيهاتها يقول الشاعر فيها :

ياوحدة قد بويعت بمحاجر
قبل اليدين ، وقبل شد الراح
جعلت من القطرين قطراً واحداً
شدت جناحهما بغير براح
ومن القلوب وجيف قلب واحد
لم يوحه غير العروبة واح
أست الجراح ، وليس غيرك آسيا
يابلسماً ألوى بكل جراح ••

وقصيدة : مرحبا ياصباح للاستاذ احمد علي حسن ، أيضا في تمجيد الوحدة بين مصر وسورية •• فيهاجازله وسلاسة ، وتجري على الخفيف ؛ وهي طويلة ، تعالج موضوعات وطنية مثل الوحدة ، والعروبة ، وقضية فلسطين ، وحرب الجزائر •• وفيها يقول : •

وحدة شاءها على كرم الغد
مصر ماض الأبناء ، والامجاد
جمعت في وشائج الدم والتاريخ
شعب الفتوح شعب الضاد

وقصيدة : أنا من العراق ، للاستاذ صلاح قادر ، زفرات اسيانة في محنة العراق ، ونكبته ، هي عنيفة مليئة بالسخط ؛ وهي من النمط الحر،تلتزم تفعيلة الرجز•• وتقص بعض أخبار مجازر العراق ، والتعذيب فيه ، السحل ، والتشريد •• يقول الشاعر فيها :

أروي بأحرف من نار ••
ملاحم الشنار
ملاحما تلى بعهد آثم العراق
ليسمع الخليج
ومن يقيم في تطوان ••

المطلع عنيف ، وفيه كسر شعري ، بالخروج من تفعيلة الرجز •• والقصيدة كلها بهذا العنف ، وفيها كسور شعرية عدة ، وهفات لغوية ، ونحوية ، وفساد في التركيب •• هون عليك ياسيد صلاح ، سوف يعود للعراق أمنه ، وتعود الى النفوس طمأنينتها •• لا تندفع في بحران الشعر الحر ، واقرأ للقدامى ، واستظهر لهم ••

وقصيدة الغد المشرق ، للاستاذ علي السبتي ، غزل ، وحماسة••وتروى تساؤل حبيبة عن هجر الشاعر اللهو ، والغزل ، من بعد أنس ، ووصال •• ويجيبها أن العدو في البلاد ، والشعب يساق الى المجزرة••الموضوع طريف ، والنظم جيد ؛ ولكن الاولى أن نوحد تجربتنا الشعرية ، ونوحد موضوع القصيدة ولنكن مع الحياة ، فذلك خير ؛ يقول الشاعر فيها :

فموطننا قد غدا للعدو رحيبا
وأضحى لنا مقبرة
نكيل فيه بوضح النهار ••
لينشب مستعمر اظفره ! ••

ويتمنى التحرر ، والعزة ، والرفاه ••

وقصيدة تحية دمشق ، للاستاذ ممدوح مولود ، حديث مقترب عن زيارته لدمشق••وفرحه للانتصارات التي حققتها ، والتقدم الذي نعمل له ؛ وفيها يقول :

دمشق ياقلعة في الشرق صامدة
في وجه كل دخيل طامع نهم
ما كنت الا جدار صد قافلة
من الطغاة أساؤا شيمة الكرم••
فكنت في وجههم ناراً مؤججة
وكنت في دربهم جيشا من النقم ••

المعاني جيدة ، والسبك موفق ••

وقصيدة الاستاذ مدحت عكاش ، بين الاطلال ، من أرق الشعر الوصفي والغزلي الذي نقرأه اليوم •• وهي

عمودية ، سلفية ، تجري على البحر الخفيف•• ألفاظها عذبة ، وجرسها بديع ؟ يقول الشاعر :

أي سر هدهدته يارمال
طاب فيه الهوى، وطاب الخيال ••
هل سرت فيك للعهود الخوالي
رعشة الشوق فاستفاق الجمال ••
أم سرت فيك من زنوبيا أطياف
فغنت ورق ورفت ظلال ! ••

وفيها يقول :

أنا أدري •• وان اطلت سؤالي••
وجميل على المحب السؤال ••
انه الحسن يارمال ، وهذي
آية الحسن في النقا تختال
زانها من وداعه الطفل سحر
وزهاها حياؤها والدلال
وزعت فيك من مفاتن هدبيها
فأصبحت جنة يارمال ••

وفي القصيدة أيضاً غزل عفيف ، برىء ، آسر ••

ومن الشعر البوحي ، والغزلي ، الرقيق ، والجزل ، الذي ضمه العدد الماضي ، قصيدة قلب للاستاذ نجم الدين الصالح ؟ وتجري على مجزوء الكامل ؟ وفيها يقول :

هدهدته •• حتى تلملم
في ظلالك •• كالقطيع
وزكته لليل •• يسلمه
الهزيع •• الى الهزيع
حتى اذا مر الصباح
بــه •• وآذن بالطلوع
وتناثر الوهج المشع
•• على ذبولك كالربيع
ناجاك •• وازهار
كالاوتار تجهش بالدموع••

أما قصيدة الطريق الضيق ، للاستاذ محمد جنيدي ، فلها عندي شأن آخر •• انها من النوع الرمزي الغامض •• لم يمنع غموضها ، في تجربتها ، ومراميها أن يجريها المنشىء في هذا الثوب السلس ، الساحر •• انها حقا لغز غامض •• انها تستهوي السمع ، واللب •• وفي الوقت نفسه تضن بفحواها عليهما ، وتضن بايحائها ان يملأ الوعي •• وفي الحقيقة ، رغم حبي للدثر ، وعنايتي بالرمزية•• لم أفهم المقصود منها ، ولم أستطع على الاقل تحديد مقصود المؤلف منها••انها تعاطف مع الموجودات الخارجية في غاية ايحائية •• هي في الغالب غزلية •• قال الشاعر في مطلعها :

تبدع سرا ؟ تجتلي
خفاء سر مغلق ؟•
تزرع فجرا راعشا
براعما من زنبق ••
أم من كروم المشرق
من السناء الازرق ••
تقطف حلما حبقا
الى الربيع طبق ؟••

المطلع سؤال للشاعر ، لذاته ، عن حاله التأملية ، والحالمة •• أهي استجلاء أسرار ، أم حلم ، وشهود ؟!• لا يلبث ان يجيب عليه ، بصور ، ولوحات من الطبيعة ، يوصيها دون تمهيد لها ، أو توضيح لمناسبتها ، فيقول :

قد سرقوا الغيمة ندي البرعم الممزق
واطعموا الغابة اشلاء عبير عبق
فيا لهيب الشفق ويا حنان الغسق
أما ترى في حضنها،طفلا بعيد الحدق؟•

ثم يتابع الصورة الجديدة ، يرشحها ، ويسترسل في تلقينها فيقول :

يأكل ما ابقى السمر •• من الحديث المهرق ••
على حوافي الطبق ، ومن صدى ليل غبر ••
ويده في شعرها •• كالسوس المستغرق
تبحث••تشكو •• ترتمي••من قلق••في قلق ••

ثم يصف حالها من الفراغ ، والضياع •• بانه لم يكن

هناك عندها ، غير شعاع فارغ ، على حد تعبيره ، ساقته احلام الشمر عبر الطريق الضيق .. للزيزفون المعروق ، والف قلب من حجر !!

كيف سرقوا الغيمة ؟. وما هذه الاوصاف ، والظروف التي يذكرها الشاعر للغيمة ، وما هذه الوجدانات التي يطلقها الشاعر على الغيمة ؟. كل ذلك لغز في القصيدة .. ومن هنا صعب تحديد مقصود معين لها .. انها تجسيد الامل ، واليأس ، البحبوحة ، والعسر .. وهي ايحاآت عائمة ، أيضا ، وقلقة .. حبذها لو أن الشاعر كان تهاون في رموزها ، ففك سرها ، واطلق معانيها ..

وقصيدة الى كاذبة للاستاذ كمال فوزي الشرابي ، من القصائد النادرة التي نعثر فيها على طرافة الموضوع ، وصدق العاطفة ..

الموضوع حذر محب في حبه ، وتنكر للحبيب .. يبوح الشاعر فيها بذلك ، فيذكر سلوان الحبيب ، وينعت الحبيب أيضا بنعوت مختلفة من الكذب،والمكر ،والخداع والتلون .. حديث القصيدة عنيف حقا ، والوصف فيها عنيف ايضا .. يقول :

تكذبين ،
أنت دوما تكذبين
كل يوم .. كل ساعة ،
في دهاء وبراعة
تكذبين ..
دون أن يرتق هدب واحد في مقلتيك ..
دون أن يبدو عليك
أي خوف او شحوب ..
دونما أي ارتباك ..
وجه شيطان مريد ؟.
لك أم وجه ملاك ؟.
أم ترى أعصابك قدت من جديد .

ويستمر في هذا التبكيت ، وبنفس العنف .. الى أن يطلب منها ان تتركه ، وتعفيه من حبها ، وخداعها .. ثم يختم قصيدته بحديث بينه وبين نفسه ، فيقول :

أرحلي .. أرحلي يا شهبي
عن حماها ..
نحو أفق لم يجل يوما ببال السحب
وانطفيء .. انطفيء يا غضبي
فهواها .. منذ أن كان هواها ..
كذب في كذب ..

تجري القصيدة على النمط الحر ، وتلتزم تفصيلة الرمل ..

وقصيدة : وتعود تسألني ، للسيدة غادة سلهب الحنصني شعر منثور ، في البوح والتشبيب ، وهي جيدة ، ورقيقة .. موضوعها سؤال محب لحبيبته ماذا وجد عندها في الحب ، وجوابها عليه ، انه الحب ، والطيب والدموع ، والاسرار .. فيرجع يسألها عن ذلك كله ، وتجيبه انها كبرياؤه .. فتقول :

يا معبدي ،
هي كبرياؤك يا من احب
عشقتها
هي هالة فوق الجبين
من أجلها
ولها أعيش
دنيا غدي
هي خافقي
أهديتها حبي النقي ..

ولكن المؤسف أن الحبيب ارتحل عنها .. فتتساءل :

ترى ..
أتعود تسألني ؟.

السبك معبر فيها .. وهو متلائم ، الى حد كبير ، مع جو التجربة العاطفية التي تصفها ، وتفندها .. والى اللقاء ..

دمشق ــ عدنان ابن ذريل

« بقية ما نشر على الصفحة ٤٧ »

« بقية ما نشر على الصفحة ٤٧ »

غريب ألا تفهمين ؟

ـ ولماذا لا يكون كاذبا مثل عزيز قبله ؟ كان هو أيضا غريبا ، وأقسم لك على أنه يحبك حتى العبادة ، وكانت النتيجة أن بصق في وجهك وذهب ..

ـ خسئت ، أبصق في وجه أبيه وأبي أحسن شاب ، أنا أمل .

ـ المشكلة أنك تظنين الناس أغبياء .

ـ ليست هذه المشكلة... يجب أن أتزوج ، أتزوج، افهمي !

ـ ومن يمسكك ؟ تزوجي .. ولكن ما علاقة هذه المشكلة بالخمس ليرات ؟ يجب أن تحصل عليها .. فستتيح لنا تبغاً من نوع جيد ، وجلسة محترمة باحدى دور السينما ، مع الحلوى واللبان .

ـ يالك من خبيثة ! تريدين الاستفادة من كتفي !

ـ لم أقل من كتفيك ، فهو يريد تقبيلك ، لا اعتلاء كتفيك .

ـ أف ! حسنا ... بعد قليل ، عندما يهبط الظلام .

صاحت السيدة بهية في قرف :

ـ بدون مشروب ، أرجوك !

وأردفت وهي تخلع سترتها عن ذراعين بلون الحليب:

ـ زوجي حرمت عليه دخول البيت مع رائحة الخمر، ولو بيرة .

ـ لو أعرف زوجك هذا !

ـ لماذا ؟

عانقها بشبق :

ـ لأنه محظوظ ... انني أحسده .. أحسده ...

دمشق ـ عبد العزيز هلال

فهرس العدد